

الإمام الحسن السقطي ابن المغلس

خال الجنيد وأستاذه ، أمارت أزهرت رياض رياسته واشتهرت أخبار تربيته وسياسته وانتهت إليه مَشِيخة الصوفية وتفجرت عيون موارده في المعارف الإلهية . ومع ذلك كان وجيهاً عند الملوك والأكابر معظماً بين أرباب السيوف والمحابر . أخذ عن الكرخي وغيره وأسند الحديث عن الفضيل والهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق وإبراهيم المخزومي وغيرهم . (قال السلمي) وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم في الحقائق والإشارات وكان أوحده أهل زمانه ورعاً وزهداً وذا أحوال ومقامات . وسبب توبته أنه مرّ بجارية سقط منها شيء ، فإنكسر فارتابت فأعطاهما بدله والكرخي ماراً ، فنظر إليه فأعجبه صنعه فقال : بقض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه . فترك حانوته وقام وهام .

(وقال للجنيد) يا غلام احفظ عني المعرفة ترفرف على القلب فإن كان فيه حياء وإلا ارتجلت . (وقال) القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لا يزعمه شيء . وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميلها . وقلب كالريشة يميلها الريح يميناً وشمالاً . (وقال) علامة الإستدراج العمى عن عيوب النفس والإطلام على عيوب الناس . (وقال) من أحب أن يسلم له دينه ويقبل غمه فليعتزل الناس . (وقال) أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها ومن عجز عن أدب نفسه فهو عن أدب غيره أعجز . (وقال) من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله . (وقال) اللهم مهما عذبتني فلا تعذبني بذلك الحجاب . (وقال) لي منذ أربعين سنة تطالبني نفسي بغمس جزرة في دبس فما أطعتها . (وقال) أه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا مخلوق فيها منة . (وقال) انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت لنفسي إن أكلت يوماً حلاًلاً فهذا ، فمتف بي هاتف القوة التي أوصلتك الى هذا الموضع من أين هي ؟ فرجعت فندمت .

(وذكر) عنده الوجد فقال "أن يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري" فروجع فيه واستبعد فلم يرجع . (وقال) عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً . (وقال) أهل الحقائق من أكله أكل المرضى ونومه نوم الغرقى . (وقال) لو دخل الرجل بستاناً فيه كل ما خلق الله من الأشجار وعليه كل ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه لذلك كان في يديها أسيراً . (وقال) إن في النفس لشغلاً عن الناس . (وقال) المغبون من قنيت أيامه بالتسويق والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه . (وقال) سئل حكيم متى يكون الحاكم مسيئاً ، قال إن كثرت بقبقتهم وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من كلامه . (وقال) إحدراً أن تكون ثناء منشوراً وعباً مستوراً . (وقال) جاءني أبو جعفر السمك وكان شديد الوله فوجد حولي جمعاً فوقف ولم يقعد ثم نظر الي فقال : "صرت مناجياً للطالبيين" فكره إجتماعهم حولي . (وقال) الشكر أن لا يعصى الله في نعمة . (وقال) من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجلاً تعمد بشيء يعلم مني خلافه . (وقال) ومن الناس من لو مات نصف أحدهم ما تزجر والنصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم . (وقال) يبلغ العبد من الهيبة والأنس الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . (وقال) الشوق والأنس يرفرفان على

القلب ، فإن وجدا فيه هيبة واجلالاً أقاما وإلا ارتحلا . (وقال) لولا الجمعة والجماعات سددتُ على نفسي الباب . (وقال) كيف يستنير قلب فقير يأكل من طعام قاض ومن غش في معاملته . (وقال) مَنْ أصفى الى قول الناس عنه أنه ولي فهو أسير في يد نفسه مايرحم . (وقال) ثلاثة من علامات سخط الله على العبد كثرة الغفلة والإستمراء بالناس والغيبة .

و(قيل له) كيف الطريق الى الله ؟ فقال إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام وإن أردته فاترك كل ما سواه تصل اليه وليس إلا المساجد والخراب .

(وقال) لاتكلمُ محبةً بين اثنين حتى يقول كلُّ للأخر ياأنا . (وقال) ما رأيتُ أحبباً للعمل وأفسدَ للقلب ولا أسرمَ لهلاك العبد ولا أدومَ للأضرار ولا أقرب للمقت ولا أزمَ لطريق الريا والمُجرب والرياسة من قلة معرفة العبد لنفسه ونظره في عيوب الناس . (وقال) الدنيا أفاعي العلماء وسحارة قلوب الفقراء والقراء . (وقال) كم من أطبق أهل بلده على إعتقاده وهو من الهالكين . (وقال) قد توعمرتُ طريق الصالحين وقتلَ فيها السالكون وهُجرتَ فيها الأعمال وقتلَ فيها الراغبون ورُفضَ الحق ودُرسَ هذا الأمر ، فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال قد إفترش الرخص وتمهد التأويلات واقتدى بذلك الهالكون . (وقال) مَنْ قام بين يدي الله في الظلام نُشرت له يوم القيامة الأعلام .

(وقال الغزالي) وأرسل السري الى أحمد بن حنبل شيئاً فردّه فقال له إحذر أفة الرد فإنها أشدُّ من أفة الأخذ . فقال أعد علي ما قلت فأعاده . فقال مارددتُ إلا لأن عندي قوت شهر فاحبسهُ عندك وأرسله بعد شهر .

(ودخل عليه الجنيد) فقال يا جنيد عصفور يجيء كل يوم أفنتُ له الخبز فيأكل من يدي فنزل الساعة ولم يسقط على يدي ، فذكرتُ أنني أكلت ملحاً بابزار فأليتُ أن لا أكلهُ بعدها فعاد كما كان . (وقال) قلوب المقربين معلقة بالسوابق وقلوب الأبرار بالخواتيم ، هؤلاء يقولون بماذا يُختم لنا وأولئك بما سبق من الله لنا . (وقال) مَنْ إشتغل بمناجاة الله أورثه حلاوة ذكره ومرارة ماياتي من الشيطان . (وقال) مَنْ إستعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة . (وقال) الأدب ترجمان العقل واللسان ترجمان القلب والوجه مرآة القلب ليتبين الوجه وماتضمرة القلوب . (وقال) مَنْ أطاع مَنْ فوقه أطاعه مَنْ دونه .

(وقال له الجنيد وهو محتضِر) أوصني فقال لاتصحب الأشرار ولا تشغل عن الله بمجالسة الأخيار . (وقال) التوكل الإنخلام عن الحول والقوة . (وقال) رأس الأعمال الرضا عن الله وعمود الدين الورع ومخُّ العبادة الجوع . وضبط اللسان حصن حصين . ومن شكر الله جرى في ميدان الزيادة . (وقال) صحبتُ شيخاً فأقمت سنة لأسأله عن شيء ثم قلت : ما المعرفة ؟ قال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن ينمحي من سرِّك كل شيء . قلت : وما يوصل الى هذا الشيء ؟ قال : زهدك فيك ورغبتك فيه . فكان كلامه سبب نفعي .

(وقال) سمعتُ برجل مُجاب الدعوة فطلبته فإذا بخلق كثير من المرضى والعميان ينتظرون خروجه كل سنة مرة ليدعوا لهم فيشفون فخرج فدعا لهم ورجم . فتعلقت به وقلت : بي علة باطلنة . فقال : خلَّ عني ياسري فإنه غيور لا يراك تسأل غيره فتسقط من عينه .

(وقال) أطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر وإستجلب نور القلب بدوام الحزن وألح في المسألة عند وجل القلوب وإياك والتسوييف .

(ولما مَرَضَ) لم يُرَ عليه تَغْيِيرٌ فأخذ الجُنَيْدُ بوله لطبيب نصراني . فتأمله وقال بول عاشق . فصُعِقَ الجُنَيْدُ وأغميَ عليه . ثم أخبر السري فقال قاتله الله ما أخبره ماكنت أظن أن الحب يظهر في هذا . وكان رضي الله عنه ينشد كثيراً ويقول :

لا في النهار ولا في الليل لي فرحٌ فما أبالي أطلالَ الليل أم قَصْرَ
لأنني طول ليلي هائمٌ دنسٌ وبالنهار أعاني همَّ والفكر

(وقال) خصلتان يبعدان العبد من الله تعالى أداء نافلة بتضييع فريضة وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب .

(وقال علي بن الحسين بن حرب) بعثني أبي الى السري السقطي رضي الله عنه بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال : كم ثمنه ؟ فقلت له لم يخبرني بشيء . فقال : اقرأ عليه السلام وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم أفتراني اليوم أكلُ بديني ؟ ثم ردّه ولم يأخذ منه شيئاً .

(وقال رضي الله عنه) "أرقت ذات ليلة فلم أطق القميص مع خدمته من التهجد وكثرة التفكر فلما صليت الفجر خرجت لايقر لي قرار . فقلت أمضي لبعض الوعاط ليلي أجد لقلبي راحة . فلما وقفت عليه وجدت قلبي لايزداد إلا تساوة . فقلت أذهب للشرطة لعلّي أعتبر بمن يعاقب في الدنيا فلما مضيت وجدت قلبي على حاله . فقلت أمضي الى المارستان لعلّي أعتبر بمن قد ابتلي . فلما دخلت المارستان وجدت قلبي قد انفتم وارتام فأريت جارية جالسة على سرير من أحسن الناس وجهاً وعليها أظمار حسنة وشممت منها رائحة طيبة وهي غضيضة النظر مقيدة الرجلين مغلولة اليدين . فلما رأنتي إغرورقت عيناها بالدموع وأنشدت :

أعيذك أن تغلّ يدي بغير جريمة سبقت
تغلّ يدي الى عنقي ولاخانت ولاسرت
وبين جوانحي كبد أحسُّ بها قد احترقت
فلو قطعتهما قطعاً وحققك عنك ما برحت

قال السري فلما سمعت كلامها قلت للقيّم : ماهذه الجارية ؟ فقال : جارية مجنونة حبسها مولاها لكي تصحو . قال فأردت الدنو منها فقال لي القيّم : لاتقترب منها فإت الذي بها عظيم . فلما سمعت كلام القيّم تفرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

معشر الناس ماجننت ولكن أنا سكرانة وقلبي صاحي
أنا مجنونة بحب حبيب لست أبغي من بابهم برام
وصلاحي الذي رأيتم فسادي وفسادي الذي رأيتم صلاحي
ماعلى من أحب مولى الموالي وارتضاه لنفسه من جنام

فلما سمعت ذلك منها ألقني وأبكاني . فلما رأنتني على تلك الحالة قالت : ياسري هذا بكاؤك على ذكر صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ؟ ثم بكت وأنشدت :

ألبستني ثوب وجد طاب ملبسه فأنت مولى الورى حقاً ومولائي
كانت بقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ وصرتُ مولى المورى إذ صرت مولائي
 تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبِّك ياديني ودينائي
 من عُصَا داوى بشرب الماء عُصَّتَهُ فكيف يصنمُ مَنْ قد عُصَا بالماء
 والشوق في خاطري مني وفي كَبْدِي والحبُّ مني مقيم بين أحشائي

قلت يا جارية ، قالت لبيك ياسري ، قلت : من أين عرفت إسمي وما رأيته قبل هذا ؟ فقالت : عرَفَ بيني وبينك علام الغيوب . قلت لها : ومن حبسك وما سبب حبسك وأنت على هذه المعرفة والإخلاص في الحب ؟ قالت : ياسري زعموا أنني مجنونة وهم أولى باسم الجنون مني . ثم بكت طويلاً ثم قلت لها ما اسمك قالت "تحفة" . فقلت لقيم المارستان حلَّ عنها وإنزعم قيدها وإنزعم الغلَّ من عنقها . فتحدثنا ساعة وإذا مولاهما قد أقبل فلما رأني سلَّم عليَّ وأعظمني فقلت له : يافتى إنها بالإعظام أولى مني فما الذي تُنكرُ من هذه الجارية ؟ قال : كثرة بكائها وأبينها وهي ذاهلة العقل طول ليلها قائمة لاتنام ولاتدعنا ننام وهي والله بضاعتي إشتريتها بخمسائة دينار لحسن صنعتها . قلت : ما صنعتها ؟ قال : عوادة تضرب بالعود . قلت : سبب ذلك ؟ قال : بينا هي تغني وعودها في حجرها وهي تقول :

ملأت جوانحي والقلب وجداً فكيف أقرُّ وأسلى وأهدا
 وحقك لانتقضت الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو وداً
 فيامن ليس لي مولى سواه تراك رضيتني في الناس عبداً

إذ رمت العود فكسرتهُ . فهذا كان سبب جنونها . فلما سمعت الجارية ذلك أنشدت :

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني
 قرَّبني منه بعد بعد وخصني منه وإصطفاني
 أجبت لما دعيت طوعاً ملبياً داعياً دعاني

فقلت لمولاهما : أطلق سبيلها وعليَّ خمسمائة دينار أدفعها لك في غد إن شاء الله . فقال : تكون مقيمة في موضعها هذا حتى تُحضر المال أو تُفَيِّقَ من الجنون . قال السري فإنصرفت وأنا باكي العين حزيب القلب على الجارية فلما كان جوف الليل وإذا بالباب يُطرق . فخرجت فوجدت خمسة من الرجال ، فقلت : ما حاجتكم ؟ فقال أحدهم : أمُّ في الله تعالى جاء لسبب من الأسباب بإذن الملك الوهاب . ففتحتُ فقال : أتأذن في الدخول فقلت نعم . فدخل ومن معه وعلى أكتافهم أربع بدر دنانير وبيد الغلام شمعة . فقال : أتعرفني ؟ قلت : لا . قال : أنا أحمد بن المثنى بينا أنا نائم إذا هاتف يقول يا ابن المثنى هل لك في معاملة المولى جلَّ جلاله فقلت يافرحي إن كنت للرقأ أصلح ، فقال إحمل من مالك أربع بدر إلى سري السقطي يشتري بها "تحفة" فإن لنا بها عناية وقد جعلناها من أهل الولاية واعلم مولاهما أن الله سيفتم عليهم من حيث لا يحتسب . فقمت وسارعت إلى ما أمرت وهذا المال قد جئت به . قال السري فسجدت لله شكراً على هذه النعمة الجديدة ولم يزل إلى أن طلعت الفجر . فلما صلينا الفجر أتينا المارستان وإذا قِيم المارستان على الباب فلما رأني قال : جئت من أجل تحفة ؟ قلت : نعم . وحكى له ما قال ابن المثنى من كلام الهاتف ، ثم دخلنا المارستان ومعنا القِيم . فلما رأتنا تفرغرت عينها بالدموع وأنشدت تقول :

قد صبرتُ السى أن عيلاً في حبِّك صبري
 ليس يخفى عنك أمري يا منى قصدي وذخري
 أترى تعتق رقبي أو تفك اليوم أسري

فبينما نحن جلوس وأنا أقول لها قد أجيببت الدعوة إذ دخل مولاهما حزينا متغير اللون باكياً . فقلت : لاتبكي قد فرج الله عز وجل وقد حصل المال مثل ما أردت وإذا طلبت رباً أعطيناك ولو أنه خمسة آلاف دينار . فقال : والله لافعلت ولو كان ملء الأرض ذهباً وفضة . فقلت : يافتي ما هكذا كان كلامك بالأمس . فقال : هيهات ياسيدي لو تعلم ماجرى علي من التوبيخ البارحة وماهتف بي الهاتف اعلموا أن هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى وجميع ماملكه صدقة لله تعالى . فالتفتُ فإذا ابن المثنى يبكي بكاءً شديداً . فقلت له : مايبكيك ؟ فقال : إن الله عز وجل لم يرزني . فقلت له : قد وقع الأجر وحصلت النية ونية المرء خير من عمله . ولم أزل أسكنه حتى سكن ما به ، ثم قال : ياسري هذا المال خرجت عنه لله عز وجل ولاسبيل الى الرجوع به وإنما هو وباقي مالي صدقة وك ريم لي فهو حبس في سبيل الله تعالى وكلّ مملوك لي فهو حر لله تعالى وأنا هارب الى الله تعالى تائب اليه من جميع ذنوبي . فقامت الجارية فنزعت ماكان عليها ولبست مدرعة من الشعر وخماراً من الصوف وقامت تمشي معنا وهي تبكي وتقول :

ياسرور القلوب أنت سروري
وحقّه وهو سؤلي
حتى أنال وأحظى
هربت منه اليه
لازلت بين يديه
بما إتكلت عليه

ثم قالت واطول حزناه ، ثم فارقتنا ومضت وهي تقول :

بكيّت منه عليه
وحقّه وهو سؤلي
حتى أنال وأحظى
هربت منه اليه
لازلت بين يديه
بما إتكلت عليه

قال السري ثم غابت عنا فلما كان في بعض السنين حججت أنا ومولاهما فبينما نحن في الطواف مع جماعة إذ سمعت صوتاً حزينا من امرأة تنادي بالبكاء يا سيدي . فلما رأتنا أنشدت :

محبّ الله في الدنيا سقيم
يهيم بحبه شوقاً اليه
كذلك كل من يدعي محباً
يهم بحبه حتى يراه

ثم سقطت مغشياً عليها ، فلما أفاقت أنشدت :

أموت وما ماتت لديك صبابتي
مناي المنى كلّ المنى أنت لي المنى
ألسنت دليل القوم إن هم تحيروا
ولارويت من فرط حبك أوطاري
وموضع أشواقي ومكنون أسراري
ومُنقذ من أشقى على جرف هار

فتقدّمت اليها فإذا هي تُحفة . فقلت لها : ماوهبك الله بانقطاعك عن الخلق ؟ فقالت : أنسني بقربه وأوحشني من خلقه . فقلت : ياتحفة ابن المثنى قد مات . فقالت : رحمّه الله وغفر له اني لأرجو له من الله تعالى كل خير ونعيم وسيجزيه الله عز وجل بكل درهم أنفقه في سبيل الله سبعمئة ضعف الى أضعاف مضاعفة . ثم قالت : الهي وسيدي ومولاي أسالك بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة أن تقبضني اليك . الى كم أبقى في دار الدنيا المحزونة ، الهي قد طال شوقي اليك فعجل ربي قبض روعي اليك يا أرحم الراحمين ومجيب دعوة المضطرين . ثم استقبلت القبلة وتشهدت فماتت رحمها الله تعالى فما أعظم بركة هذه الجارية على الجميع .

(وقال رضي الله عنه) لو أحسستُ بإنسان يريد أن يدخل عليَّ فقلتُ بلحيتي كذا وكذا وأمرَّ يده على
لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول ذلك الداخل لخفتُ أن يعذبني الله عزَّ وجلَّ على ذلك بالنار .
(وكان يقول) إني لأنظر إلى أنفي مراراً مخافة أن يكون وجهي قد اسودَّ .
(وقال) ما أحبُّ أن أموت حيث أعرف ، فقيـل له ولم ذلك قال أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضمَّ .
(وقال رجل) له رضي الله عنه كيف أنت ؟ فأنشد يقول :

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحَبُّ حَشْوُ فَوَّاهِهِ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَفْتَتِ الْأَكْبَادُ
(وقال الجنيد رضي الله عنه) رفع السري اليَّ يوماً رقعة قال أنظر ما فيها :
إذا ما شكوتُ الحبُّ قال كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حبُّ حتى يلصق الجلد بالحشا وتذبل حتى لا تُجيب المُنْساديا

(وقال) معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكلَّ ما عليها لاتأبى ذلك ، كالصابر
يحتلم ماكرهته النفوس لا يابى ذلك ولا يسميه بلاء بل يسميه نعمة وموهبة من الله سبحانه
وتعالى . (وقال) صلَّيت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري كذا تجالس الملوك ،
فقبضت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لامددت رجلي أبداً . وكان يقول إذا فاتني جزء من وردي
لا يمكنني أن أقضيه أبداً . قال الجنيد لأن السري كان متصل التنفُّل . (وقال) أصفى ما يكون ذكري إذا
كنت مشغول القلب بالله تعالى . (وقال) مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ سَلِبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ
هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ أَحْرَزَ ثَوَابَهَا .

(وسئلك عن الصبر) فجعـل يتكلم فيه فدبَّت على رجله عقرب وهي تضرب بإبرتها وهو ساكن فقيـل
له لم تُنَحِّمَا عَنْكَ ، فقال إني إستحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولأصبر .
(وقال) التَّوَكُّلُ وَالتَّعَقُّفُ يَمْنَعَانِ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَالْإِحْسَانُ وَالْكَرَمُ يَمْنَعَانِ مِنَ دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ ، وَالزَّهْدُ يَمْنَعُ
مِنَ التَّعَبِ .

(وقال الجنيد) دخلتُ يوماً على السري فقال : ما أحوال الصديقين . قلت : لأدري . قال : ثلاثة يكونوا
بما في أيديهم مع إخوانهم سواء ويطالبون نفوسهم بما للناس عليهم وإذا عرض أمران لله عزَّ وجلَّ
فيهما رضا حملوا نفوسهم على أصعبهما وأشدَّهما وإن كان فيه تلفُ نفوسهم .
(وقال الجنيد) سمعتُ سرياً يقول كنتُ ماراً في البرية فأواني الليلك إلى جبل لأنفُس فيه . فبينما أنا
في جوف الليل ناداني مناد فقال لاتدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس مخافة فُوتِ
المحبوب . فتعجبتُ فقلتُ : أجنِّي يناديني أم إنس ؟ فقال : بل جنِّي مؤمن بالله سبحانه وتعالى
ومعي إخوان . فقلت : وهل عندهم ما عندك ؟ فقال : نعم وزيادة . فناداني الثاني منهم : لاتذهب
من البدن القوة إلا بدوام الفتوة . فقلت في نفسي ما بلغ كلامهم .

فناداني الثالث : مَنْ أَنْسَ بِهِ فِي الظَّلامِ نُشِرَ لَهُ غداً الأعلام . قال فصعقتُ فما أفقتُ إلا برائحة الطيب وإذا
نرجسة على صدري فشممتها فافقتُ . فقلتُ وصية وحكم لله . فقالوا جميعاً : أبى الله عزَّ وجلَّ أن
تحیی به إلا قلوب المتقين فمن طعم في غير ذلك فقد طعم في غير مطمَعٍ وثقنا الله وإياك .
وودَّعوني ومضوا وقد أتى عليَّ حيث ولأزال أرى بركة من كلامهم موجودة في خاطري .

(وقال رضي الله عنه) لا يطيب عيش الزاهد إلا إذا اشتغل عن نفسه ولا يعيش العارف إلا إذا اشتغل
بنفسه . (وقال) لَنْ يَكْمَلَ الرَّجُلُ حَتَّى يُوَثِّرَ دِينَهُ عَلَى شَهْوَتِهِ وَيَهْلِكَ حَتَّى يُوَثِّرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ .

(وقال) للمريد عشر مقامات التحبب الى الله عز وجل والتزيت عنده بالصدق ونصيحة الأمة والأنس بكلام الله عز وجل والصبر على أحكامه والإثرة لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في مرضاته والرضا بالقلة والقناعة بالخمول . (وقال) رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل . (وقال) تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل والإبقاء على العمل بعدما يخلص أشد من تخليص العمل . (وقال) لو شفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقى السرور في معادها . (وقال) وددت أن أحزان الخلق كلهم علي .

(قال الجنيد) بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه فقال "إذا بعثك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطيء عليه لأنك تشغل قلبه" .

(وقال السري) إني أعرف طريقاً يؤدي الى الجنة قصداً ، فليل وماهي ؟ فقال أن تشتغل بالعبادة وتقبل عليها وحدها حتى لا يكون فيك فضل . (وقال) أعرف طريقاً مختصراً يؤدي الى الله سبحانه وتعالى . فليل وماهو ؟ قال لاتأخذ من أحد شيئاً ولاتسأل أحداً شيئاً ولايكث معك ماتعطي أحد شيئاً . (وقال) لايقدر على ترك الشهوات إلا من ترك الشبهات .

(وقال الجنيد) كان السري يقول لنا ونحن حوله "أما لكم غيرة يامعشر الشباب إعملوا فإن العمل في الشبيبة" .

(وحكى) أنه لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من غزلها فأبطأت عليه يوماً فسألها عن ذلك فقالت : لأن غزلي لم يشتتر اليوم وذكروا أنه مختلط وإن ماظهر منه جيد وماخفي منه ردي . فامتتم السري من طعامها ونودي أن لاياكل من عندها شيئاً . ثم أن أخته دخلت عليه ذات يوم فإذا عنده عجوز تكنس بيته وكانت تأتيه كل يوم بقرصين فاغتمت أخته وأنت أحمد بن حنبل ، فشكت اليه أخاها ، فقال له أحمد بن حنبل في ذلك ، فقال : إني لما امتنعت من طعامها قيص الله عز وجل الي الدنيا تخدمني وتأتيني بقوتي . وقال ابن أبي الورد دخلت يوماً على السري وهو يبكي ودورقه مكسور فقلت له : مالك ؟ فقال : إنكسر الدورق . فقلت : أنا اشتري لك بدله . فقال : من أين تشتري بدله وأنا أعرف الدانق الذي اشتري به الدورق ومن عمله ومن أين أخذ طينه ومن أي شيء أكل عامله حتى فرغ من عمله ؟

وقال حسن الهرخي دفع الي السري قطعة وقال اشتري بها باقلاء من رجل قدره داخل الحانوت ، فطفت الكرخ كله فلم أجد إلا من قدره خارج الحانوت .

(وقال) ثلاث من لم يكن فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق . ومن إذا رضي لم يخرج رضاه الى الباطل ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له . (وقال) كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن له وقت ينام فيه وكان ينعب وهو قاعد فليل له بإمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال كيف أنام ؟ إن نمت بالنهار ضيعت أمور الناس وإن نمت بالليل ضيعت حظي مع الله عز وجل .

(وقال الجنيد) مارأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وثلاثون سنة مارؤي مضطجعاً إلا في علة الموت . (وقال الجنيد) كنت نائماً عند السري فنبهني وقال لي يا جنيد الساعة رأيت كاني وقتفت بين يدي الله عز وجل فقال لي ياسري فقلت لبيك ربنا وسعديك فقال لي خلقت الخلق فكأنهم ادعوا بمحبتتي ، فخلقت

الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العُشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العُشر وبقي معي عُشر العُشر فسَلطت عليهم ذرّة من البلاء فهرب منهم تسعة أعشار عُشر العُشر ، فقلتُ للباقيين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من البلاء هربتم فماذا تريدون ، فقالوا إنك لتعلم ما نريد فقلتُ إنني سلّطت عليكم من البلاء بعدد أنفساكم ما لاتقوم له الجبال الرّواسي أتصبرون ، قالوا إذا كنت أنت المُبتلي لنا فافعل ما شئت . فهؤلاء عبادي حقاً .

(أقول) وهذا داخل تحت قوله صلى الله عليه وسلّم " أول من يدعى يوم القيامة آدم فيقول الله له أخرج بعث النار ، فيقول ربّ وما بعثُ النار . فيقول من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون " .

(وقال مظهر بن سهل) سمعت ابن علان الخياط وكان قد جرى بيني وبينه ذكر مناقب السري يقول : "كنت يوماً جالساً مع السري فجاءته امرأة وقالت يا أبا الحسن أنا من جيرائك وأخذت ابني الطائف وأخشى أن يؤذي ، فإن أردت أن تجيء معي أو تبعث اليه . قال علان فتوقعت أن يبعث اليه فقام وكبر وطول صلواته فقالت له المرأة يا أبا الحسن الله الله في أخشى أن يؤذي ولدي . فسلم وقال لها أنا في حاجتك فلم يكن إلا أن جاءت امرأة أخرى وقالت لها لقد أخرج عن ولدك اذهب اليه . فتعجب رجل من سرعة إستجابة دعائه فقال له علان لأي شيء تتعجب إشتري كرز لوز بستين ديناراً وكتب على العدل الذي هو فيه ربعه ثلاثة دنانير فارتفع السعر حتى صار الكرز بتسعين ديناراً فأتاه الدلال وقال : أريد ذلك اللوز . فقال : خذهُ . فقال : يكّم ؟ فقال : بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إن اللوز قد صار بتسعين ديناراً . فقال : قد عقدت بيني وبين الله تعالى عز وجل عقداً لأحلّه لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إنني عقدت بيني وبين الله تعالى عقداً أن لا أغش مسلماً لست أخذه منك إلا بتسعين . فلا الدلال إشتراه منه ولا هو باعه فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله ؟" .

(وقال أحمد بن خلف) دخلت يوماً على السري فرأيت في غرفته كوزاً جديداً مكسوراً ، فقال لي : أردت ماءً بارداً في كوز جديد فوضعت على هذا الرواق ونمت فرأيت في منامي جارية مدنية فقالت لي ياسري من يخطب مثلي ببرد الماء ثم رمته برجلها فانكسر . فاستيقظت من نومي فإذا هو مطروح مكسور " . قال الجنيد فرأيت الخزف المكسور ولم يمسه ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب وعلمت أن مخالفة النفس وقمع الشهوات واللذات من دواعي الوصول وشواهد المشاهد .

(وقال السري) لا تركن الى الدنيا فتقطع من الله حبلك ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قريب تبرك . (وقال) لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي الى المجلس ما خرجت ولو علمت أن إنفرادي عن الناس أفضل ما جالستهم . (وقال) كنت مريضاً بطرسوس فدخل علي ثقلأ يعوودوني وأطالوا ثم قالوا إن رأيت أن تدعو لنا فقلت اللهم علّمنا أدب العيادة . (وقال) العارف هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم في باطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عز وجل . (وقال) ثلاثة أشياء لا يسكن معها في القلب غيرها ؛ الخوف من الله تعالى وحده ، والحياء من الله وحده ، والأنس بالله وحده . (وقال) أربع من أخلاق الأبدال استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للمخلّص والنصيحة لهم . وأربع يرفع الله بها العبد العلم والأدب والدين والأمانة . وثلاث من أخلاق المؤمن القيام بالفرائض واجتناب المحارم وترك الغفلة . وثلاث من أخلاق الأبرار كثرة الإستغفار وخفض الجناح ومداومة الصدق . وثلاث من أبواب سخط الله

عز وجل اللعب والإستهزاء والغيبة . وأما عمود الدين وذروة سنامه فحُسنُ الظنِّ بالله تعالى . (وقال) اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الذكر واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف والحمِّ في المسألة عند وجل القلوب وتزيّن لله تعالى بالصدق وتحبّب اليه بمحبّة تعجيل الإنتقال وإيّاك والتسويّف . ونافس الأبرار في إقامة الفِرْضِ ونافس المقرّبين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال . واطلب حلاوة المناجاة بفرانغ القلب وجمع الهمِّ واستجلب زيادة النعم بكثرة الشكر . (وقال رضي الله عنه) استوصيت بشر بن الحرث بوصيّة فقال : أخاف أن أوصيك بوصيّة فيكون وبالها عليّ وعليك . فقلت : على ذلك . فقال : أنظر بأي بدن توافي القيامة وأنظر من يحاسبك وبين يدي من تقف واعلم أنك مسؤول لامحالة فاعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً . والزم بيتك وحاسب نفسك فإذا قدمت يوم القيامة تقول ربّ ما زلت ملازماً لبيتني ومحاسباً لنفسني . فيقول الله عز وجل صدقت . (ثم قال هيهات أني يقول صدقت إلا للصدّيقين) . وأنظر كل خطرة تخطر ببالك تستحيي منها أن يعلم بها جليستك فالله عز وجل أحقُّ وأحرى أن يُستحيى منه .

(وقال الجنيد) كنت أسمع السري يقول يبلغ العبد من الهيبة والأنس الى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي منه شيء حتى بات لي الأمر كذلك ، وذلك لأن الهيبة والأنس حالتان فوق القبض والبسط ، والقبض والبسط فوق الخوف والرجا . فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهشة . فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعاً لم يحضر من غيبته إلا بزوال الهيبة عنه والأنس عنه . والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة ثم انهم يتفاوتون في الهيبة والأنس . وقيل أدنى مرتبة في الانس أنه لو ألقى في النار ماتكدر انسه ، إلا ترى الى قول السري يبلغ العبد من الهيبة والانس الى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر . وذلك لأن الانس يتولد من السرور بالله ومن صح له الانس بالله تعالى استوحش مما سواه .

(وقيل لبعضهم) يذوق العبد حلاوة الانس ؟ فقال نعم إذا قطع العلائق ورفض الخلّاق وغاص في الحقائق مطلّعاً على الدقائق . (وقال الشبلي) من استأنس بالله عز وجل استوحش من خلقه ومن استوحش من خلقه صار فرداً بين يديه جلّ جلاله . وحالنا الهيبة والانس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونها نقصاً لتضمينها تغيّر العبد فإن أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغيّر فلهم كمال في المحو ووجود في العين فلاهيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حسب .

(وقال السري رضي الله عنه) عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة فكيف بعمل مع هوى . (وقال) من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل . (وقال) كنت يوماً أتكلم بجامع بغداد فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي عجباً كيف لضعيف يعصي قوياً ، فتغيّر لونه فبانصرف . ولما كان من الغد جلست في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل فسلم وصلّى ركعتين وقال : ياسري سمعتك بالأمس تقول عجباً لضعيف يعصي قوياً فما معناه ؟ قلت : لا أقوى من الله عز وجل ولا أضعف من العبد وهو يعصيه . فنمض وخرج ثم أقبل عليّ من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد ، فقال : ياسري كيف السبيل الى الله تعالى . فقلت : إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله عز وجل فاترك كلّ ما سواه تصل اليه وليس إلا المساجد والخراب . فقام وهو يقول والله لاسلكت إلا أصعب الطرق وولّى خارجاً . فلما كان بعد أيام جاءني غلمان جماعته فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب . فقلت : لأعرفه . إلا أن رجلاً جاءني صفته

كذا وكذا . وأخبرتهم بما جرى لي معه ولأعلم حاله .

فقالوا نقسم عليك بالله متى عرفت خبره عرفنا ودلونا على داره . فبقيت سنة لأعرف خبره فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الأخرة في بيتي إذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبك فيه نوى . فقبلني بين عيني وقال : ياسري أعتقك الله عز وجل من النار كما أعتقتني من الدنيا . فأومأت الى صاحبي أن امض الى أهلهم فأخبرهم ، فمضى فإذا بزوجه قد جاءت ومعها ولده وغلماؤه فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حلبي وحللك وقالت له : ياسيدي أرملتني وأنت حي وأيتمت ولدك وأنت حي . فنظر الي وقال : ياسري ماهذا ؟ ثم أقبل عليها وقال : والله إنك لثمره فؤادي وحبيبة قلبي وإن هذا ولدي لأعز الخلق علي غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله سبحانه وتعالى قطع كل ماسواه . ثم نزع ماعلي الصبي وقال : ينبغي أن يكون هذا في الأكباد الجياوم والأجساد العارية . وخرقت قطعة من كسائه فلفها فيها الصبي ، فقالت المرأة : لأرى ولدي في هذه الحالة . وانتزعت منه ، فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال : ضيعتم علي ليلتي بيني وبينكم الله . وولّى خارجاً فضجت الدار بالبكاء . فلما كان بعد مدة أتت عجوز فقالت : ياسري بالشونيزية غلام يسالك الحضور .

فقمتم معها فإذا به مطروم تحت رأسه لينة فسلمت عليه ففتح عينيه فقال : ياسري وعليك السلام أترى يغفر الله لي تلك الجنائيات ؟ فقلت : نعم . فقال : يغفر لمثلي أنا غريق ؟ قلت : هو سبحانه منجي القرقي . فقال : علي مظلالم . فقلت : في الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم . فقال : ياسري معي دراهم من لقطعة النوى إذا أنا مت فجهزني بها ولا تعلم أهلي لنلا يغيروا كفني بغيره من مالهم .

فجلست عنده قليلاً ففتح عينيه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات رحمه الله . فجهزته بتلك الدراهم . فرأيت الناس يهرعون فقلت ما الخبر ؟ قالوا مات ولي من أولياء الله نريد أن نصلي عليه . فصلينا عليه ودفنناه . فلما كان بعد مدة أرسل أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألته أن أريها قبره . فقلت : أخاف أن أن تغيروا أكفانه . قالت : لا والله . فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين وأعتقت جميع الرقيق من الرجال والنساء ووقفت جميع عقارها تصدقت بماله كثير . ولزمت عبادة الله تعالى الى أن ماتت رحمها الله .

(وقال رضي الله عنه) إتق الإخوان ولا تأمنهم على سرك وإحذر إخوان السوء وإتهم صديقك كما تتهم عدوك . (قلت) وما أحسن ما قيل من هذا القبيح :

إحذر عدوك مرة وإحذر صديقك ألف مرة
فلربما إنقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

(وقال رضي الله عنه) خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواطن ، فلما أصحرتنا رأيت في مجرى السيل باقة بقل فمددت يدي فأخذتها وقلت "الحمد لله رب العالمين" ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منة . فقال لي بعض من رأني "ياأبا الحسن التفت" فالتفت فإذا مثل الباقة كثير . فقال خذ هذا فقلت الباقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلائلك فيه منة .

(وقال علي بن عبد الحميد الغضائير) دقت الباب على السري فسمعته من وراء الباب وهو يقول "اللهم أشغل من شغلني عنك بك" ، فكان من بركة دعائه أنني حججت أربعين حجة من حلب ماشياً ذاهباً وأياباً .

(وقال) خير الرزق ما سلم من الأثام في الإكتساب والمذلة والخضوم وكان سليماً من الغش في الصناعة ومعاملة الظلمة . (وقال) أقوى الناس من مَلَك غضبه .

(ويحكى) أنه قال منذ ثلاثين سنة وأنا في الإستغفار من قولِي مرّة الحمد لله . قيل وكيف ذلك ؟ قال وقم ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال نجا حانوتك فقلت الحمد لله ، فأنا نادم من ذلك الوقت على ماقلت حيث أردت لنفسِي خيراً من الناس .

(وتُقل) عن أحمد بن عمرو أنه قال خرجت مع السري يوم العيد من المسجد فلقني رجلاً جليلاً فسلم عليه سلاماً ناقصاً . فقلت هذا فلان . قال قد عرفته . قلت فلم تنقصه السلام ؟ قال لأنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما بصاحبه" فأردت أن يكون معه الأكثر .

(قال) في "مجمع الأحباب" أعلم إن هذا فضلٌ جليلٌ جميع منشؤه الورع وقد تضمنت القربة ومطلق الإيثار بها ولا بأس بينهما . أما القربة فهي كلّ عبادة لا يُراد بها إلا الله عزّ وجلّ وإبتغاء رضوانه ، وأما مطلق الإيثار بالقربة فتارة تكون للنفس وتارة تكون للغير وكلّ منهما يقيم على أنواع :

الأول : الإيثار بالأنفس والأروام والأموال كما فعل الصحابة من المهاجرين والأنصار في بذلهم أنفسهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ لتكون كلمة الله هي العليا ، فأقام الله بهم هذا الدين واختارهم لصحبة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقد تضمنت أقوالهم مع قصدهم كلّ القصد أيضاً فداء النبي صلى الله عليه وسلم ونصره . فباحبذا الفداء وما أعظم هذه السعادة وما أكبر هذه السيادة التي امتازوا بها عن سائر الأمة . فإنها سعادة ليس فوقها سعادة بالنسبة للمؤمنين ، فإن كلّ من جاء بعدهم من المؤمنين في ميزانهم . فالسعادة التي حصلت لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مانالها غيرهم ، فهنيئاً لهم رضي الله عنهم وكانوا أحقّ بها وأهلها وجميع ما فعلوه هو نية كل مؤمن وسبيله لو وجد إلى ذلك سبيلاً .

وقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وقال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم... الآية) ، وقال تعالى (ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم... الآية) وقال تعالى (هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين... الآية) . ومن نظر إلى الآيات الكريمة وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم علم أنهم قد أخذوا من ذلك بالخطّ الأوفى وأن إستيفاء ذلك يستدعي مجلدات كثيرة . فمن ذلك خبر الغار وهو مشهور ومببب عليّ على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة وما صنعه طلحة بن عبد الله أحد العشرة رضوان الله عليهم يوم أُحد حتى أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا ذكّر عنده يوم أُحد قال : "ذاك يوم كان كلّهُ لطلحة" . وماكان يفعلهُ أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين كان ينسلُ كنانته ويقول : "وجهي لوجهك يارسول الله الفداء، ونفسي لنفسك يارسول الله الفداء" . وماقاله حبيب بن عدي لما أخذه المشركون وهم يقطعون لحمه ويقولون له : أنتحب أنك في أهلك ومالك وأن محمداً مكانك ؟

فقال : والله ما أحبّ أني في أهلي ولا مالي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يبشاك بشوكة . وماقاله عبدالرحمن بن جحش رضي الله عنه على مارواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "قال

لي عبدالله بن جحش رضي الله عنه يوم أُحد ألا تدعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال يارب إذا لقيت العدو فلقيني رجلاً شديداً بأسه شديداً جوره أقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدم أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً قلت يا عبدالله من جدم أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسول الله فتقول صدقت". قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وأنفه وأذنه لملعقتان في خيط والنفر الذين قتلوا واحداً بعد واحد وكان آخرهم يزيداً وعماراً وقد أئخت بالجراح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فادنوه حتى وضع خده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات كذلك .

وكذلك المرأة التي مرت على القتلى بأحد لما نعوا أهلها لها وصاروا يقولون هذا أبوك وأخوك وزوجك وهي تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا خير أم فلان فهو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير إليه حتى إذا رآته أسرعت إليه وأخذت بناحية ثوبه وهي تقول : بأبي أنت وأمي يارسول الله لاأبالي إذا سلمت عن عطب ، (زدا في رواية وكل مصيبة بعد جلك أي قليل) .

وأما الذين قُتلوا وعذبوا في الغزوات وغيرها فخلأق كثيرون وماسار صلى الله عليه وسلم في غزاة ولاغيرها إلا وكانوا عن يمينه ويساره ومن بين يديه وخلفه يقدونه بأبائهم وأمهاتهم وأنفسهم وأموالهم الى غير ذلك مما هو مشهود معروف . والإيثار من هذا النوع واجب على كل مؤمن بالإجماع وقوعه فرض عين بالنسبة الى الجهاد وفرض كفاية بالنسبة الى فداء النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : من الإيثار أيضاً بالأنفس والأموال الجهاد في سبيل الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المؤمنين إدامة الجهاد وفتح البلاد . وحالهم في ذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ، لأن الكفار إن دخلوا بلاد الإسلام لأخذها كان الجهاد فرض عين وإلا فهو فرض كفاية . وقد قام المؤمنون والحمد لله بالقسمين أتم القيام ولن يزالوا على ذلك الى أن تقوم الساعة ذلك فضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الثالث : من الإيثار بالأنفس والأموال على سبيل المخاطرة مع ظن السلامة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلفاء والأمراء والسلاطين وغيرهم . وهذا فرض كفاية ولم تزل الأمة سلفاً وخلفاً قائمين بذلك مهما وجدوا اليه سبيلاً كسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان وسفيان الثوري وعبدالرحمن بن أبي ذئب وغيرهم .

الرابع : من الإيثار بالأنفس أيضاً القيام لنصرة الدين وقد فعل جماعات من الأئمة امتحنوا في الدين يعني في مسألة خلقت القرآن فاثروا بأنفسهم حفظاً له كالإمام أحمد بن حنبل وأحمد ابن نصر الخزاعي وأبي يعقوب البويطي وغيرهم فبعضهم ضرب وبعضهم قُتل وبعضهم سلم . قال أحمد بن حنبل عن أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله ماكان أسخاه لقد جاد بنفسه . وقال أبو يعقوب البويطي لما حمل من مصر الى بغداد مقيداً بقيد فيه سلسلة من رجليه الى عنقه نحو أربعين رطلاً : "لئن دخلت عليه لأصدقته وأموت في حديدي هذا حتى يأتي قوم فيعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم" وهكذا وقع . فإنه رضي الله عنه لما أدخل على الواثق صدقه ولم تأخذه لومة لائم . فأمر بحبسهم الى أن مات محبوباً في حديده . وهذا من كرامات الشافعي ومناقب البويطي رضي الله عنهما .

الخامس : الإيثار الواقع بين المؤمنين بعضهم لبعض بالأنفس والأموال وهو كثير . فمن ذلك النفر الثلاثة الذين ماتوا عطشاً في واقعة اليرموك في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة

خمس عشرة وهي : أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال إنطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شربة ماء وأنا أقول إن كان فيه رمقٌ سقيته ومسحتُ به وجهه ، فإذا أنا به فقلت أتشرب فأشار إليّ أن نعم . فإذا رجلاً يقول "أه العطش أه العطش" فأشار إليّ ابن عمي أن "اسقه" فإذا هو هشام بن العاصي . فمضيت إليه وقلت أتشرب فأشار إليّ أن نعم فسمع هشام شخصاً يقول "أه العطش أه العطش" . فأشار إليّ أن "اسقه" فإنتهيت إليه لأسقيه فإذا هو قد مات ، ثم رجعت الى هشام فإذا به قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فإذا به قد مات فتعجبت من هذا الإيثار مع شدة الإضرار .

(ومن ذلك) ما حكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدس الله سره قال : "سمعت بعض الفقهاء يقول كنت سنة الهرير مع الناس فإنقلبت ثم رجعت وكنت أطوف بين الجرحى فرأيت أبا محمد الجريري رضي الله عنه وكان قد نيف على المائة فقلت : يا شيخ ألا تدعو فيكشف ماترى ؟ فقال : قد دعوت فقال سبحانه تعالى اني فعّال لما أشاء . فأعدت عليه فقال : يا أخي ليس هذا وقت الدعاء هذا وقت الرضا والتسليم . فقلت : هل لك من حاجة ؟ فقال : أنا عطشان .

فجئتُ بماء فأخذه وأراد أن يشرب فنظر الى قوم ينظرون الى الماء فقال : هؤلاء عطاش وأنا أشرب لا هذا شره . فردّه عليّ ومات من ساعته رضي الله عنه .

(ومن ذلك) واقعة إبراهيم التميمي رضي الله عنه مع الحجاج لما طلب إبراهيم النخعي غلاماً رسولهُ فظنَّ المطلوب إبراهيم التميمي . فجاء وأخذه الى الحجاج فأمر بحبسه فمات في السجن وكان قد علم إبراهيم التميمي أن المطلوب هو إبراهيم النخعي ، فلم يستجز أن يدلّ عليه وفداه بنفسه رضي الله عنهما .

(ومن ذلك) ما حكاه في "بهجة الأسرار" قال حدثنا أبو بكر محمد بن داود قال : "سمعت أبا بكر البويطي وأبا عمرو بن الأزدي يقولان وكانا متأخيين في الله عزّ وجلّ . خرجنا من بغداد نريد الكوفة فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بسبعين رابضين في الطريق ، فقال أبو بكر لأبي عمرو أنا أكبر منك سنّاً دعني حتى أتقدمك فإن كانت حادثة اشتغل بي عنك ونجوت أنت . فقال أبو عمرو وإن نفسي ماتسامحني بهذا ولكن نكون جميعاً في مكان واحد فإن كانت حادثة كنا جميعاً" . فجازوا جميعاً وسط السبعين فلم يتحركا ومرّاً سالمين قال الشيخ أبو بكر هذا ميراث الموافقة في المحبة لله عزّ وجلّ .

(ومن ذلك) واقعة أبي الحسن النوري رضي الله عنه لما سعي به الى الخليفة في جماعة وأمر بضرب أعناقهم فسبقت نوري الى السيّاف ، فقال له هذا :

- أتدري الى ماذا تسارم ؟

قال : نعم الى القتل . قال له : وماذا دعاك الى هذا ؟ قال : أؤثر أصحابي بحياة لحظة .

فتحير السيّاف من هذا الكلام وأوصله الخير الى الخليفة وكان ذلك سبب نجاته ونجاة أصحابه .

(ومن ذلك) ما حكاه ابن سعد في "الطبقات" عن محمد بن عمر بن واقد الأسلي قال : "تضيق مرة في يوم عيد بحيث أن الجارية قالت ليس في البيت ما نفطر عليه . فقصدت بعض أصحابي من التجار في الإستقراض منه . فقال لي : والله ما عندي غير هذا الكيس فيه ألف دينار ومائتا درهم فخذ .

قال فلما جئت الى منزلي جاءني صديق لي هاشمي وذكر حاجة وسألني القرض فدخلت الى الزوجة وأخبرتها خبر الهاشمي فقالت لي : على أي شيء عزمت ؟

قلت لها : أدقم اليه البعض وأترك البعض لحاجتنا .
فقال : لا والله ما هذا انصاف أنت جنت الى سوقي فأعطاك جميع ما عنده وقد أتاك هاشمي ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم تدفع اليه بعض ما عندك ؟ إدقم اليه الكيس على حاله .
قال فدفعت اليه الكيس على حاله فلما ذهب الهاشمي الى منزله وجد ذلك التاجر الذي أقرضني جالساً
على باب داره . فقام اليه وسأله القرض فأخرج له الهاشمي ذلك الكيس بعينه فعرفه فوصل الخبر الي .
فمضيت الى دار يحيى بن خالد البرمكي وأخبرته الخبر . فقال " يا غلام هات ذلك الكيس " فأخرج كيساً فيه
عشرة آلاف دينار فقال " ألفا دينار لك وألفا دينار للهاشمي وألفا دينار للتاجر وأربعة آلاف دينار لزوجتك
لأنها الأكرم " .
(ومن ذلك ما حكاه أبو الفرج الجوزي) قال : " قال عبدالله ابن أخت مسلم أردتُ الحجَ فدفع اليّ خالي
مسلم عشرة آلاف درهم وقال إذا قدمت المدينة فأنظر أفقر أهل بيتها وإدفعها اليه . قال فلما دخلت
المدينة سألت عن أفقر بيت بها فدُللتُ على أهل بيت . فطرقت الباب فأجابتنني امرأة : من أنت ؟
فقلت : رجلٌ من بغداد أودعتُ عشرة آلاف درهم وأمرتُ أن أسلمها الي أفقر أهل بيت بيت في المدينة وقد
دُللتُ عليكم فخذوا هذا المال .
فقال : يا عبدالله ابن صاحبك اشترط أن تدفعها الي أفقر أهل بيت في المدينة وهؤلاء الذين جيراننا بإزائنا
أفقر منا .
قال فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتنني امرأة : من أنت ؟
فقلت مثلما قلت لتلك فقالت : يا عبدالله نحن وجيراننا في الفقر سواء .
فقسمتها بينهم .
(ومن ذلك) أن الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه جاء الي منزل الجنيد فقام اليه وعانقه فقال
له أبو حفص : دعنا من هذا عندك شيء تطعمنا ؟
قال : أي شيء يشاء الشيخ ؟
قال : أريد بطيخاً .
فامر الجنيد بعض أصحابه بإحضار ما قاله . فلما حضر البطيخ قال : يا أخي أحببتُ أن أوثر الله عزّ وجلّ .
فقال : إني أحبُّ ما تُحب .
ثم قال الجنيد لبعض أصحابه إحمل هذا مع الشيخ الي أين عزم .
فقام معه الي أن وصل داراً فدقّ الباب فإذا بشخص من داخل الباب يقول : أدخل إن كان معك بطيخ .
فدخلنا فإذا بشيخ قاعد وخيش مُرسَل على باب . فقال أبو حفص فوضعت البطيخ وصرفت الذي حملة
ثم قلت للشيخ : أخبرني عن أمر هذا البطيخ . فقال :
- وراء هذه الخيشة صبيان وبنات سالوني البطيخ منذ مدة ولم تسامحني نفسي أن أسأل الله تعالى لهم
في ذلك ثم وجدت البارحة مسامحة أن أسأل الله تعالى فسألته وعلمت إجابة السؤال بوجود المسامحة
بالسؤال ، فلما وقفت على الباب علمتُ مامعك .
السادس : الإيثار بالحقوق إذا تضمّت ذلك الإيثار مصلحة راجحة لا مانع منها خاصةً كانت أم عامة . فما
تضمّت مصلحة راجحة عامة ما فعله سيدي وابن سيدي أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهما حيث ترك الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين . فقد تَضَمَّتْ هذا الإيثار حفظ مَهْمٍ لايحصيهم إلا الله تعالى . وقد صرَّح بذلك الحسن رضي الله عنه . فإنه لما سأله معاوية أن يُعلِّمَ الناس بتسليم الأمر اليه قام على المنبر وقال بعد أن خطب : "إن الله قد هداكم بأولنا وحقت دماءكم بأخرنا وظهرت المعجزة النبوية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابني هذا سيد يصلح الله بينه وبين فئتين عظيمتين من المسلمين" . فأُنظر الى هذا الإيثار ما أعظمه والى نفسه الكريمة ما أسخاها وأكثر تقواها فسبحان مَنْ أعطاهَا . قال تعالى (كُلًّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) . وأفراد هذا النوم كثيرة وضابطه حصول المصلحة الراجحة حيث لامانم منها خاصة كانت أو عامة .

السابع : الإيثار بالقرب البدنية كمن مات وعليه صوم فإن وليه يصوم عنه على التقديم الصحيح الذي يُفتى به . والإيثار بهذا النوم وأمثاله من أعظم القرب وأحسنها لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مم تَضَمَّنَ للبرِّ وصله الرحم ، وأفراد هذا النوم كثيرة منها الدعاء للوالدين والأقربين والمشايخ وسائر السلف الصالحين والصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والترضي عنهم والترحم عليهم والإستغفار لهم . ومنها أيضاً قراءة القران وإهداء الثواب لهم عند مَنْ يرى وصوله . وقد إختاره وأفتى به جماعة من الأئمة من أصحابنا وغير أصحابنا ، وقد تضمن هذا البرِّ وصله الرحم والمعروف .

الثامن : الإيثار بالقرب الجامعة بين البدنية والمالية كالحج مثلاً . فقد قال الأئمة رحمة الله عليهم إذا حجَّ عن أحد أوبوه أو قريبه أو أجنبي تبرعاً له أفضل مما إذا حجَّ عن نفسه تطوعاً ، إتفق الأصحاب على ذلك لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مم تَضَمَّنَ البرِّ أو صلة الرحم أو المعروف بسبب المحجوج عنه والإيثار بهذا النوم مستحب مؤكَّد .

التاسع : الإيثار بالقرب المالية فقط وأفراد هذا النوم كثيرة ، كالصدقة عن الأموات من الوالدين والأقارب والأجانب بالطعام والشراب والفاكهة والثياب والخبز وغير ذلك . ولم يزل المؤمنون يعتادون على ذلك وهو أيضاً من أفضل أنواع القرب وأعظمها لما فيه من البرِّ وصله الرحم والمعروف وسدَّ الخلة بحسب المتصدِّق عنه ولا يخفى إستحباب ذلك والله أعلم .

العاشر : من الإيثار أيضاً القرب المالية صدقة التطوم على الفقراء والمساكين من الأقارب والأجانب . وأقسام هذا النوم وتفصيل مسائله وتحريرها تُعرف من محالها ، وأفراد هذا النوم كثيرة منها وهو أعمُّها نفعاً الوَقْفُ والعَتَقُ والتدبير والكتابة وفكُّ الأسارى وإقراض المحتاجين وإنظار المُعَسَّرِينَ والوضع عنهم وإعانة المُكَاتِبِينَ ووفاء دين الغارمين وتجهيز جيش المسلمين للجهاد في سبيل الله تعالى الى غير ذلك . والإيثار بهذا وأمثاله من أعظم القرب وأحسنها وأعمُّها نفعاً لما فيه من الصدقة الجارية الدائمة وتفريج الكربات والبرِّ وصله الرحم وحفظ دار الإسلام وإسداء المعروف وسدَّ خلة المسلمين وتحريز الرقاب ، ولا سيما إن كان والد أو قريباً مم أن الوالد يعتق بمجرد الشراء . وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لن يُجزى ولدٌ عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتق عليه" الى غير ذلك .

الحادي عشر : الإيثار بالسبق في القرية ليحوز السابق بها فضيلة السبق ، وإنما كان ذلك قصداً صالحاً لرجوعه الى النصيحة للمؤمنين والشفقة عليهم كما حكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدس الله روحه

عن عثمان الحيري رضي الله عنه أنه استأذن شيخه الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه في الكلام على الناس . فقال له : ما يدعوك الى هذا ؟
قال : النصيحة لهم والشفقة عليهم .
قال : وما بلغت من شفقتك ؟

قال : لو علمت أن الله تعالى يعذبني بدل جميع من آمن به ويدخلهم الجنة لوجدت من قلبي رضا بذلك .
فأذن له . ثم إن الأستاذ أبا حفص شهد مجلسه من حيث لا يشعر فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائل فسبق أبو عثمان فأعطاه ثوباً كان عليه . فقال الأستاذ : ما وقيت بقولك فأياك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشره . فقال أبو عثمان : وما ذاك يا أستاذ ؟

فقال : أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق ثم تتلوهم .
فطالبهم بتحقيق الصدق وإستواء السريرة والعلانية لتحقيق قوله بفعله . فلما لم ير منه الوفاء بذلك نهاه عن الكلام على الناس . وهذا الذي قاله الأستاذ أبو حفص رضي الله عنه يرجع في الحقيقة الى ما قصده الإمام أبو الحسن السري رضي الله عنه ، حيث أراد أن يكون حظ ذلك الرجل أكبر فقد اتفقا على مشرب واحد بين النصيحة للمسلمين والشفقة عليهم ، إذ كل واحد منهما أراد أن يكون حظ أخيه المسلم من الآخر أكثر وأوفر ، وهذا بمجرده جليل جميل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(واعلم) أن مطلق السبق بالقربية لا تقتضي الرجحان على المسبوق لإحتمال أن يأتي المسبوق بمرجع آخر ينغمر فيه ذلك السبق اللهم إلا إذا تساوى الفعلان من كل وجه وكان أحدهما أسبق ، فممن هنا يحصل الرجحان للسابق لحيازته فضيلة السبق والله أعلم .

الثاني عشر : الإيثار بالنصف الأول من الصلاة . وهو خلاف الأولى وقد ينتهي الى الكراهية وإن كان المؤثر هو المفضول ، فلا يكون إيثاره خلاف الأولى . ويستدل على ذلك بما فعله أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه مع ابن أبي مليكة . قال ابن أبي مليكة : "كنت في الصلاة في الصف الأول فلم أشعر إلا وشخص من ورائي قد اقتلعتني من مكاني وأخرجني منه وثبت فيه . فلما فرغت من الصلاة نظرت فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال :

- لايسؤك والله يا هذا ، إن هذا عهد النبي صلى الله عليه وسلم به الينا وقال صلى الله عليه وسلم ليلى منكم أولو الأحلام والنهي "

ومن هذا النوم الإيثار بالإمامة في الصلاة حيث صم الإقتداء بها وكان المؤثر أفضل فإن إيثاره بخلاف الأولى ، ومسائل هذا النوم كثيرة مشهورة والتقدم فيها إنما هو بالفضائل ومنه إذا وقع تهاجر بين اثنين وكان أحدهما أفضل فإن الأولى أن الفاضل هو الذي يبتديء بالسلام وإزالة الوحشة . فلو أراد الفاضل إيثار المفضول بذلك كان ذلك خلاف الأولى ، ألا ترى الى ما روي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه لما كان بينه وبين أخيه الحسين بن علي رضي الله عنهما نوم تهاجر كيف أرسل محمد ابن الحنفية يقول له : "يا أخي لولا أنك أحق بالفضل مني لأتيتك وبدأتك بالسلام" فعرف الحسين رضي الله عنه ذلك فجاء اليه وبدأه بالسلام .
وقد قال أرباب السير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما كان بالبصرة جلس على سرير وأجلس الحسن عن يمينه والحسين عن يساره وجلس محمد بن الحنفية دون السرير . فخاف عليه رضي الله عنه ان يجد ذلك الفتى ، فقال :

- يابني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث عشر : طلاقة الوجه والبش في وجه أخيك المسلم وزيادة الإستبشار به والإبتهاج له والزيادة في حسن التحية مطلوب . وكلما كان أكثر طلاقة وأحسن تحية وإستبشاراً وإبتهاجاً بأخيه المسلم كان أفضل وأجره أكثر . فلو أراد الإيثار ببعض ذلك ليكون أجر أخيه المسلم أكثر كما قصد سيدي أبو الحسن السري رضي الله عنه كان ذلك قصداً صالحاً وإيثاراً جميلاً حيث أراد لأخيه المسلم أكثر مما أراد لنفسه . فهو إيثار بمجرد حظ نفسه لاتعلق لغير فيه مع مشاركته في الزجر وحصول الفضيلة وإنما إختص ذلك بزيادة الزجر . وإذا علم الله عز وجل من عبده الصدق في قصده فإنه يُثيبه ثواباً آخر ويضاعف أجره بحيث إنه قد يربو على ذلك الأجر الذي أثار به ، فيثابان جميعاً ثواباً وافيةً ذلك لزيادة الإستبشار وطلاقة الوجه وهذا لحسن قصده الصالح الجميل لأخيه المسلم . ومن هنا يظهر لك حسن قصد سيدي السري رضي الله عنه وأنه جليل جليل منشؤه الورع لرجوعه الى الشفقة والنصيحة للمسلمين ويضمن قصده رضي الله عنه أموراً آخر يقصر فهمي عنها . وغاية ما أقول أنه غامض دقيق قد أخذ محاسن الأمور واشتمل على الكمال والتكامل بحصول الأجر الوافر مع المحافظة على العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " فرحمه الله ورضي الله عنه ما أكثر عرفانه وأغمص أفعاله وأحسن مقاصده وأظهر برهانه . وهذه الأسرار التي ذكرناها كلها من بركة قصده الصالح أيضاً . لأن النظر فيه أوجب ذلك وهي مجامع أنواع القربات ومعظم مسائلها مع كثرتها راجعة اليها والله أعلم . أه .

(تنبيه تنبيه) أعلم أن ما فعل سيدي السري رضي الله عنه مع ذلك الرجل الجليل من كونه نقصه في السلام إيثار له بزيادة الأجر إنما يكون حسناً ومطلوباً بالنسبة الى من كان عارفاً عاملاً ، أما من ليس كذلك فلا ، ولا سيما في زماننا هذا فإنه قد يؤدي ذلك الى عكس المقصود من وقوم بغضاء أو شحناء وموضوع السلام الألفة والمحبة . فالصواب الآن عدم استعمال ذلك إلا لعارف أو لعالم والله أعلم .

(توفي رضي الله عنه) في بغداد يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين . (وقال) الأئمة أبو الفرج وغيره قال أبو عبيد بن خرمويه : " حضرت جنازة السري فلما كان في بعض الليالي رأيته في النوم فقلت له ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال غفر لي ولمت حضر جنازتي وصلى علي . فقلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك . قال فأخرج درجاً فنظر فيه فلم ير فيه إسمي . فقلت بلى قد حضرت قال فنظر فإذا إسمي في الحاشية " .

(ودُفن) في المقبرة الشونيزية وقبره ظاهر معروف والى جنبه قبر الجنيد رضي الله عنهما . ثم تلقى سر هذه النسبة عنه شيخ هذه السلسلة المجلدة سيدنا أبو القاسم الجنيد البغدادي نصر الله وجهما .

أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج البغدادي

رضي الله عنه

هو الحَبرُ المزيّنُ بفنون العلم المتوسّم بجلابيب التقوى والحلم المنورَ بخالص الأيقان المؤيّد بثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب العامل بمحكم الخطاب الموفّق للبيان والصواب . كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلّة مبسوطاً . وهو نماونديّ الأصلُ بغدادي المنشأُ الزجاجيّ والقواريريّ نسبةً لحرفة أبيه سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقّة وشيخ طريقت التصوف بهلوان العارفين مرجع أهل السلوك في زمنه . فمَنّ بعده رُزق من القبول وصواب القول ما لم يَقم لغيره بحيث إذا كان مرّ بشارع بغداد وقف له الناس صفوفاً كالملوك ولم يرَ في عصره من اجتمع له علمٌ وحالٌ غيرُهُ . وكنت إذا رأيت علمه رجحت على حاله وإذا رأيت حاله رجحت على علمه . وناهيك بإمام من العقائد الدينية والأصول الإسلامية أن تعتقد أن طريقه وصحبه طريق مقوم .

(قال) خاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر سيّدنا محي الدين في "الفتوحات" هو سيد هذه الطائفة . (وكان) من الفقهاء المتعبدين الشافعية تفقّه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ، وكان يُفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنة ولم تزل أعناق الفريقيين له خاضعين وعلى تبجيله في كلّ عصر مجتمعين . وقد نقل شيخ الشافعية الإمام النووي في "الروضة" قيل الصيام عنه إن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة . أخذ التصوّف عن خاله السري والحارث المحاسبي . (قال) "قال لي السري شيخي إذا قمت من عندي فمَنّ تجالس ، قلت المحاسبي ، قال نعم خذ من علمه وأدبه دمّ عنك تشقيقه للكلام وردّه على المتكلمين . ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث" . قال الغزالي رضي الله عنه أشار إليّ أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلم ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه ، انتهى .

(وكان يقول) علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة . (قال) الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه العزيز يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان . (وصحب) هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلاً وانتهمت إليه الرياسة . (وقال) ما أخرج الله علماً إلى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لي فيه حظاً . (وأقام) عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوم وورده كلّ يوم ثلاثمائة ركعة ، وكان الكتابة يحضرون مجلسه لألفاظه والفقهاء لتقريره والفلاسفة لدقّة نظره ومعانيه والمتكلمون لتحقيقه والصوفيّة لإشاراته وحقائقه .

ومن فوائده وحكمه:

(قال) لو أقبل صدق على الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان ما فاتته أعظم مما ناله . (وقال) من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من إتبعه . وقيل له ما العارف ؟ قال من نطق عن سرّك وأنت ساكت . (وقال) ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطم المألوف . (وقيل له) ما الفرق بين المرید والمراد ؟ فقال المرید تولية سياسة العلم والمراد تولية رعاية الحقّ ، فإب المرید يسير والمراد يطير وأب السائر من الطائر . (وقال) الإخلاص

بين الله وعبده ولا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيهلكه . (وقال) الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حاله أربعين سنة . (وقال) الإستغناس بالناس حجاب عن الله والطعم فيهم فقر الدارين . (وقال) لايسمي عبداً عاقلاً حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربه . (وقال) بُني الطريق على أربع لاتتكلم إلا عن الوجود ولاتأكل إلا عن فاقة ولاتنم إلا عن غلبة ولاتسكت إلا عن خشية . (وقال) صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب . (وقال) كلام الأنبياء عن حضور وكلام الصديقين عن المشاهدة . (وقال) من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فإن تنبّه وإنقطع إليه وحده كشف عنه المحن وإن دوام السكون الى الحق نزعته من قلوبهم الرحمة عليه وألبس لباس الطعم فيهم ، فتصير حياته عجزاً وموته كمداً وأخرته أسفاً نعوذ بالله من الركوت الى غيره . (وسئل) عن العارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو بحكم وقته . (وقال) مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة . (وقال) التصديق بعلمنا هذا ولاية إذا فاتتك المؤنة في نفسك فلاتفتك أن تصدقت بها في غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطك . (وقال) يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . (وقال) كنت بيت يدي السري ألعب وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون في الشكر ، فقال ياغلام مال الشكر ؟ قلت ان لا يعصى الله بنعمة . فقال أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . فلازال أبكي على هذه الكلمة . (وسئل) مابال أصحابك إذا سمعوا القرآن لايتواجدون ولايتحركون بخلاف ماإذا سمعوا الرباعيات . قال القرآن كلام الله وهو صعب الإدراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين . (وقال) أتل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب والقلب إذا عرى من الهيبة عرى من الإيمان . (وقال) مادام الشاكر يطلب المزيد بشكره فهو غريق في حظ نفسه ، إنما الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل تناله الرحمة لشموهه كثرة معاصيه . (وقال) إذا صدق المرید أغناه الله عن حفظ المنقول بنور يجعله في قلبه يفرق به بين الحق والباطل . (وقال) الطريق مسدود إلا على المقتفين آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم . (وقال) طريق التصوف عنوة لا صلح فيه . (وقال) التوحيد الخالص ان يرجع أحر العبد الى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون . (وقال) التوحيد الذي انفرد به الصوفية أفراد القدم من الحدوث والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله وترك الإعتماد على كل ما علم وأن يكون الحق مكان الكل لايعول إلا عليه . (وقال) قد طوي علم التوحيد منذ زمان وإنما الناس يتكلمون في حواشيه . (وقال) سبب اضطراب القلب والجوارح عند السماع انه تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله ألت برىكم ؟ استقرعت عذوبة سماع كلامه الأرواح فإذا سمعوا نفماً طيباً حركهم لذكره . (وقال) تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع والطعام ومجارة العلم . (وقيل له) ممن إستفدت هذا العلم الذي لم يسمع من مشايخنا ؟ قال من تعودى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأوما الى درجة في داره . (وقال) لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرد عن حب الدنيا . (وقال) حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك . (وقال) المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلب من الدنس وخلوصه من الأضداد والأغيار فهو في مراقبة الجبار فيصير كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء ستر المعرفة وبرد اليقين . (وقال) إنما لم يطرب الفقراء لسماع القرآن لأنه كلفهم ومواعظ كلفوا بها

وَمَنْ كَلَفَ بِشَيْءٍ لَا يَطْرُبُ بِهِ وَإِنَّمَا طَرَبُوا بِالْقِصَائِدِ لِأَنَّهَا كَلَامٌ جِنْسُهُمْ وَمِمَّا عَمَلْتَهُ أَيْدِيهِمْ بِخِلَافِ الْقِرَاءَتِ فَإِنَّهُ حَقٌّ صَدَرَ مِنْ حَقٍّ لَا مَجَانِسَةَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ . (وقال) العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك . (وقال) لولا أنه روي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم . (وقال) إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم ، فقال ابن عطاء حتى تبدو فقل هي بادية قال تعالى سبقت رحمتي غضبي . (وقال) لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفني لكن من حقّ بدأ والى حقّ يعود . (وقال) من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وماطويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم واعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه . (قلت) وهذا هو الذكر الذي فازت به هذه الطائفة النقشبندية قدّس الله أسرارهم الزكية دون بقية الطرقات وحسبها بذلك شرفاً وفوزاً عظيماً . (وقال) الخشوع تذلل القلوب لعلم الغيوب . (وقال) التواضع خفض الجناح ولين الجانب . (وقال) أشرف المجالس وأعلىها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد . (وقال) إحفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والحسرة على الغفلة وقتها واقعة وصلوا أوراكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ولا يفلكم عن الله قليلاً الدنيا فإن قليلاً يشغل عن كثير الآخرة . (وقال) حكايات الصالحين جند من جنود الله يقوم بها أحوال المرديدين ويحيي معالم الغيوب . (وقال) حكايات الصالحين جند من جنود الله يقوم بها أحوال المرديدين ويحيي معالم أسرار العارفين وحجة ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) . (وقال) كُنْ فِي بَاطِنِكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُنْ فِي ظَاهِرِكَ مَعَ الْخَلْقِ لِأَنَّ مَنْ فَارَقَ الْخَلْقَ بَجَسْمِهِ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَقَعَّ فِي الضَّلَالِ ، وَمَنْ خَالَطَ النَّاسَ بِسِرِّهِ إِفْتَتَنَ وَحُجِبَ عَنِ الْحَقِّ بِالطَّمَعِ فِي الْخَلْقِ . (وقال) أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه . (وقال) مواكبة الإخوان رضاع فانظروا متى تواكلون . (وقال) لا يصلح السؤال إلا لمن العطاء عنده أحب إليه من الأخذ . (وقال) الشفقة على الناس أن تعطيه من نفسك ما يطلبون ولا تحمّلهم إلا ما يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون . (وقال) قد ينقل العبد من حال إلى أرقم منها وقد بقي عليه من التي تقل عنها بقية فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها . (قلت) وهذا مأخذ ما قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله منه في اليوم والليلة سبعين مرة " من أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ترقى إلى مقام يرى ما قبله غيباً فيستغفر منه .

(وكان) إذا سأل سائل عن مسألة يجيبه ثم يسأله آخر عنها فيجيبه بجواب آخر ويقول : " على قدر السائل يكون الجواب " .

(وقال) مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عَزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذَلِّ الآخِرَةِ . (وقال) إذا أراد الله عبداً للمحبة كشف له عن قدر إنعامه عليه وبره إليه وكثرة الأيدي القديمة عنده . (وقال) تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم . (وقال) على العاقل أن لا يفقد نفسه من ثلاثة مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أفي حالة زيادة أم نقصان ، وموطن يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري التدبير وكيف تغلب عليه الأحكام ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه والزامها ما لزمها . (وقال) إن الله كشف لعباده معائبهم في ذكر الظن لهم وعرفهم مقاديرهم بذكر النطفة وأشهدهم عجزهم في تقلبهم ليعرفوا فاقتمهم إليه في كل حال . (وقال) لإبن شريح : طريقنا أقرب إلى الحق من طريقكم ، فطالبه

بالبرهان فقال الجُنيد لرجلٍ إرم حجراً في حلقة الفقراء فرماه فصاحوا كلهم لله . ثم قال القه في حلقة الفقهاء فألقاه فقالوا حرامٌ عليك أزعجتنا فقبّل رأسه واعتذر . (وقال) لا يرتقي الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أوائل البدايات وهي الفروض الواجبة ثم الأوراد الراتبة ومطايا الفضل وعزائم الأمر ، فمن أحكمها من الله عليه بما بعدها . (وقال) التصوّف تجنّب كل خُلُق أدنى واستعمال كل خُلُق سنيّ وأن تعمل لله من غير رؤية العمل . (وقال) من سكن أو شكا لغير الله ابتلاه الله بحجب سرّه عنه . (وقال) أعلم الناس بالآفات أكثرهم أفة . (وقال) من عرف الله أطاعه ومن عرف نفسه ساء بها ظلّه وخاف على حسناته أن لا تُقبل .

(وزاره) أبو محمد الجريدي فوجده يصلّي فأطال ، فلامه وقال :

- قد كبرت ووهن عظمك ورتّ جلدك فلو اقتصررت على بعض صلّاتك .

فقال : طريق عرفنا بها ربنا لانقتصر على بعضها فالنفس ماحملتها والصلاة صلة والسجود قربة ، ولهذا قال تعالى (واسجدوا واقتربوا) ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد . (وقال) لا تياس من نفسك مادمت تخاف من ذنبك وتندم عليه . (وقال) الورع في الكلام أشد منه في الكسب . (وقال) العلم يوجب لك استعماله فإن لم تستخدمه في مراتبه كان عليك لا لك . (وقال) المرء لا يعاب بما في طبعه . (وسئل) العناية قبل أم البداية ؟ فقال العناية قبل الطين والماء . (وقال) أعلى درجة الكبر وأشدها أن ترى نفسك وأدناه أن تحظر نفسك في بالك . (وقال) إن الله يعطي القلوب من برّه بحسب ما أخلصت له في ذكره . (وقال) رأيت في النوم كاني أتكل على الناس فجاءني ملكٌ فقال ما أقرب مايتقرب إليه المتقربون ؟ قلت عملٌ خفي بميزات وفي فتولّى وهو يقول كلام موفقت والله . (وقال) لقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً . (وقيل له) متى يستوي عند العبد حامده وذامه ، فقال إذا تحققت أنه عبد مخلوق . (وقال) الغفلة عن الله أشد من دخول النار . (وقال) بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه وقام حتى انحنى وصلّى حتى أقعد ، ثم قال وعزّتك لو كان بيني وبينك بحرٌ من نار لخضتته شوقاً إليك . (وقال) لا تقوم بما عليك حتى تترك جميع ما لك وليس شيء أعز من الدنيا . (وقال) اليقين استمرار العلم الذي لا يحول ولا يتغير في القلب . (وقال) إذا صدقت الله فأصدقته فإنه تعالى جعل لإبليس على كل شيء طريقاً إلا على صدق الأسرار . (وقال) مارأيت من عظم الدنيا فقرت عينه بها وماحقرها أحد إلا أتته وهي صاغرة . (وقال) التواضع عند أهل التوحيد تكبر . قال الغزالي ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أولاً ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها . (وقال) أتيت مسجد الشونيزية فوجدت جمعاً من الفقراء يتكلمون في الآيات ، فقال فقير أعرف رجلاً لو قال لهذه الإسطوانة كوني ذهباً كانت كذلك فصارت كذلك . (وقال) أحتاج إلى الجِماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب . (وسأله الشبلي) فقال له ما حسنات الأبرار ؟ قال سيئات المقربين ثم أنشد :

طوارق أنوار تلوم إذا بدت فتظهر كتماناً وتُخبر عن جمع

(وسئل) عن العشق ، فقال لأدري ماهو ولكن رأيت رجلاً أعمى عشق صبياً وكان الصبي لا ينقاد له فقال

له الأعمى يا حبيبي ايش تريد منّي ، قال روحك ففارق روحه حالاً .

(ومرّ) ببعض دروب بغداد فسمع قائلاً يقول :

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام كنت على الأيام منصوراً
فبكى وقال ماطيب منازل الألفة والسرور وأوحش مقامات المخالفة لأزال أحث الى بدايتي وحدة سعبي
وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول وأنا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية .
(وسئلت) على ماذا يتأسف المحبُّ من أوقاته؟ قال على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث
وحشة وأنشأ يقول :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا

(وقال) مَنْ لم يصلِ عمله باليقين وبقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه
بالمجاهدة فهو من الهالكين . (وقال) اليقين أن لاتهتم لرزقك الذي كُفيتهُ وتُقبِل على عملك الذي
كُلّفته ، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوفاً حثيثاً . (وقال) الزهد إستصغار الدنيا ومحو آثارها من
القلب . (وقال) المسير من الدنيا الى الآخرة هيّن على المؤمن وهجر الخلق في جنب الحق شديد
والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله أشدّ . (وقال) الصبر تجرّم المرارة من غير
تعبيس والرضا دفع الإختيار .

(وسأله جهم) : أنطلبُ الرزق؟ فقال : إن علمتم أي محل هو فأطلبوه . قالوا : فنسأل الله فيه ؟
قال : إن علمتم إنه ينساكم فذكروه . قالوا : فندخل البيت ونتوكّل ؟ قال : التجربة شك . قالوا : فما
الحيلة ؟

قال : تركُ الحيلة .

(وقال) اليقين إرتفاع الريب في مشهد الغيب .

(وسئلت) عن التوحيد فأجاب بكلام لا يفهم . ففيل له أعد الجواب فابنا ما فهمناه ، فقال جواباً آخر .
ففيل له هذا أغمض فامله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه ، فقال إن كنت أجريه فأنا أملكه . (قال
سيدنا الشيخ الأكبر) أشار الى أنه لاتعمل له فيه وإنما هو بحسب مايلقي الله مما يقتضيه وقته
ويختلف الإلقاء باختلاف الأوقات والقوم إنما يوردون مايعطيه الكشف ويمليه الحقّ .
(وقيل له) أبو يزيد يقول " سبحاني " فقال الرجل استملك فنطق بماهلك به لذهوله في الحق عن
رؤيته إياه فلم يشهد في الحق إلا الحق .

(وقال) صحبتُ قوماً بالبصرة فأكرموني فقلت مرة أين إزاري فسقطت من أعينهم .

(ودخل) عليه الشبلي متواجد فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب وإن كنت
خارجها فماذا حصلت حتى تتواجد ؟ فقال : التوبة ياإمام .

(وقال) أرقت ليلة فقمتم لوردي فلم أجد ما أجد من الحلاوة . فأردت النوم فلم أقدر فأردت القعود
فلم أطق ثم إرتج البيت للسقوط فإذا برجل مطروح بالطريق فرغم رأسه وقال : الي الساعة ياأبا
القاسم .

قلت : بغير موعد ياسيدي ؟ قال : بلى سألت محرّك القلوب أن يحرك قلبك للخروج متى يصير داء
النفس دواها ؟ قلت : إذا خالفت هواها ؟ فقال : إسمعي يانفس قد أجبتك بهذا سبعا فأبيت إلا أن
تسمعيه من الجنيد . ثم إنصرف فلم أعرفه .

(وقال) لأستبشع مايرد علي من العالم فإني أصلت أصلاً هو أن الدار دارُ غمّ وبلاء وفتنة والعالم كلّهُ

شَرَّ فحكّمهُ أن يلقاني بكلّ ما أكره ، فإن تلقاني بما أحبُّ فهو فضل والأصل الأول . (وقال) من فتح على نفسه باب نيّة حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نيّة سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان . (وقال) الدنيا لحظة إن صدمتها ذهبت وإن هي صدمتك أعمتكَ .

(قال موسى بن علي رضي الله عنه) مشيت يوماً مع الجنيد فلما بلغنا مسجد الشونيزي إلتفت إلينا ووقف وقال : "يامعاشر الشباب جدّوا قبل أن تعجزوا واجتهدوا قبل أن تطلبوا أثراً بعد عين ، فإني تذكرت مجاهدات كانت لنا في هذا المسجد تقبم في عيني بطلتي اليوم" . قال موسى بن علي وكانت حالته إذ ذاك من أعظم أنواع المجاهدات وأنشدوا في المعنى :

أتهجر مَنْ تُحِبُّ وأنت جَار	وتطلبهم وقد بَعَدَ المزارُ
وتبكي بعد نأيهم إشتياقاً	وتسأل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور	وترجوا أن تخبرك الديارُ
فأنت كطالب أثر العين	وقلبك بالبطالة مستعمارُ
فنفسك لَمْ ولاتلم المطايا	ومت أسفاً فقد خان الحذارُ
سمعت بنايهم فظلت حياً	فديتُك كيف يهنك القرارُ

(وقال) التصوّف جامعٌ لعشر خصال : التقلُّ من كلّ شيء في الدنيا مع القدرة عليه ، وإعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الأسباب ، والرغبة في الطاعة بما إستطاع منها ، والصبر عند فقد الدنيا على المسئلة والشكوى ، والتميز في الشبهات والحلال ، والشغل بالله تعالى عمّن سواه ، ودوام الذكر له بالقلب واللسان ، وتحقيق الإخلاص مع الصدق ، وإستواء السريرة والعلائية ، ودوام المراقبة لله مع السكون إليه في جميع الأحوال . فإذا اجتمعت هذه الخصال كان الصوفي في أول مراتب المحبة ثم يرقى الى حالة المشاهدة فيؤخذ منه اليه ويبقى معه في ميدان المحبة والدمشة ، إنتهى . ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله (عمرو بن عثمان المكي رضي الله عنه) وهي : "أن تتولى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وإنقطاع كما لو فرض إتصال البروق في الليلة المظلمة حتى تصير كالنهار لإتصال البروق بها" . فكذا قلب العارف بإتصال أنوار التجلي حتى يصير دائم النهار غائب الليل وأنشدوا :

ليلي بوجهك مششرقٌ وظلامه في الناس ساري
فالناس في سُدْفِ الظلام ونحت في ضوء النهار

(وسئل) متى يكمل المحب أحوال العبودية ؟ فقال إذا رأى أن الأشياء كلها لله تعالى وأنه هو المنفرد بالتدبير والخلق والملك (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

(وقال) إذا صحّت المودة سقطت شروط الأدب . قال في "مجمع الأحباب" إن هذا يستدعي إشارة لطيفة الى أحوال فاز بها العارفون رضي الله عنهم في الصحبة وهي : مع المشايخ بالإحترام والخدمة والتوقير والقيام بأشغالهم . ومع الأقران بالبشر والإنبساط والموافقة والإحسان والكون معهم على حكم الوقت . ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب . ومع الأستاذين باتباعهم أمرهم ونهيهم وهي في الحقيقة خدمة لا صحبة . ومع الجمال بتحمّل الصبر وحسن الخلق والمدارة والنظر إليهم بعين الرحمة ومن كان جهله أقوى كان العفو والحلم عنه أولى . ومع الأهل والولد بالشفقة وحسن التأديب

وحثهم على أنواع الطاعات . ومع الإخوة بكل ما يقدر عليه من الموافقة وترك المخالفة ما لم تكن معصية . ومع السلطان بالسمع والطاعة إلا في معصية والإسك عمّا فيه قدم عليهم ، وأما الدخول عليهم فمَن كان عادلاً فهو من السبعة الذين في الحديث المشهور والنظر إليه عبادة وينبغي أن يدعم له بما قاله سعيد بن المسيّب رضي الله عنه لما وُلِّيَ عمر بن عبدالعزيز للعلماء "أجعلوا نصف دعائكم لأُمير المؤمنين ليسلم عليكم دينكم ودنياكم" ومَن كان ظالماً فالبعد عنه واجب إلا إذا تعيّن كإرشاد وإضطرار فيدخل عليه بحسب ذلك وإذا دخل عليه أمره ونهاه ودعا له بالتوفيق والإعانة إذا علم من حاله أنه يسلم عند القرب منه ، ومع الكلفة كصحة أبي ضمضم رضي الله عنه كان إذا أصبح وأمسي يقول : "اللهم اني وهبتُ نفسي وعرضي لك اللهم اني قد تصدّقت بعرضي على عبادك فمَن شتمني فلاشتمه ومَن ظلمني فلاظلمه" . ثم إن على كل جارحة أدياً تختص به . قال تعالى (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) . وحقيقة هذه الآداب راجعة الى المراقبة ، قال بعض المشايخ الأدب مع الله عزّ وجلّ أن لا تتحرك جارحة من جوارحك في غير رضا الله سبحانه وتعالى .

(حُكي) عن بعضهم أنه قال نظرتُ الى شخص نظرة شهوة فرأيت في المنام قائلاً يقول "إن الله تعالى يقول الدنيا داري والخلائق فيها عبيدي وإمائي فمَن نظر الى أحد منهم بغير حق فقد خانني" ، فانتبهت وأليت على نفسي أن لا أنظر الى شخص بعد ذلك إلا على حدّ الأمانة .

(وسُنك) أبو عثمان الحيري رضي الله عنه عن الصحبة فقال توسع إخوانك بمالك ولا تطعم من مالهم وتنصفهم من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وتكون تبعاً لهم ولا تطلب أن يكونوا أتباعاً لك وتستنكر ما إليك منهم وتستقلّ مامنهم إليك .

(وقيل) الشرف في ثلاث إجلال الكبير ومدارة النظير ورفع النفس عن الحقير .

(وقال) أبو بكر الكتاني رضي الله عنه جرت مسئلة المحبة بمكة في الموسم وكان الجنيد رضي الله عنه أصغرهم سنّاً فتكلّم فيها المشايخ ثم قالوا هات ما عندك يا عراقي . فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : "عبدُ ذاهل عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه قد أحرقت قلبه الأنوار الإلهية وصفا شربه من كأس ورده وانكشف له الحقّ من أستار عينه ، فإن تكلم فبالله وإن نطق فمَن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكنت فمع الله فهو بالله ومع الله"

فبكى المشايخ وقالوا ما على هذا من مزيد جبرك الله ياتاج العارفين .

وقال أبو القاسم القشيري قدس الله روحه : "كان الجنيد رضي الله عنه جالساً مع رويم والجريري وابن عطاء فقال الجنيد :

- مانجا مَن نجا إلا بصدق الإلتجاء ، قال الله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا... الآية) .

وقال رويم : مانجا مَن نجا إلا بصدق النُّقى قال الله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم... الآية) .

وقال الجريري : مانجا مَن نجا إلا بمراعاة الوفا قال الله تعالى (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ... الآية) .

وقال ابن عطاء : مانجا مَن نجا إلا بتحقيق الحياء قال الله تعالى (ألم يعلم أن الله يرى... الآية) .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : مانجا مَن نجا إلا بمعرفة الحكم والرضا ، قال الله تعالى (الذين سبقت لهم منا الحسنی ... الآية) .

(وسأله) أبو محمد الجريري رضي الله عنهما فقال : مابالُ الإنسان يخفُّ عليه بعض الأعمال ويثقلُ عليه بعضها ؟ فقال : ربما كان ذلك إختباراً من الحقِّ جلَّ جلاله يهب لعبده شيئاً من الأحوال العالية عليه لينظر كيف حفظه لها وكيف تمسكها بها ، فإن صار مُراعياً مستمسكاً بها دائم أوقاته زاده وفتح له في غيرها ونقله الى ما هو أعلى منها وإن كان مضيعاً لها سلبه أياها إذ لا يعرف قدر الموهبة .

(وكان للسري رضي الله عنه تلميذة وكان لها ولد عند المدب فبعث به معلم المكتب الى الشطِّ فغرت . فجاء المعلم الى السري وأخبره بذلك ، فقال له السري : قوموا بنا الى أمه نعرِّبها ونسليها . فلما جلسنا عندها أخذ السري يتكلم في الصبر ثم تكلم في الرضا . فقالت : يَا أستاذ إيش تريد ؟ فقال لها : إن ابنك غرت . فقالت : ابَّ ربي عزَّ وجلَّ ما فعل هذا الى الآن . فأعاد السري الكلام في الصبر والرضا فقالت أمه : قوموا بنا الى الشطِّ .

فقمنا معها فلما إنتهينا الى الشطِّ قالت لنا : أين غرت ابني ؟ قلنا لها هاهنا . فقالت : يا ابني محمد . فأجابها : لبيك يا أمه .

فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها . قال الجنيد فالتفت السري اليّ وقال : كيف هذا ؟ فقلت : أقول ؟ قال " قل " . فقلت : إن المرأة مراعية لما لله عليها من الحقوق وحكم من كان مراعياً لأوامر الله عزَّ وجلَّ ومواهبه من الإجتنب والإمتثال أن لا يحدث حادثة تتعلق به إلا أعلمه بها . فلما لم تكن حادثة لم يعلمها فلما قيل لها إنك غرت أنكرت ذلك وقالت إن ربي ما فعل هذا الى الآن .

(وسئل) عن الحياء فقال رؤية الآء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء . (وسئل) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " حبك للشيء يعمي ويصم " فقال حبك للدين يعمي ويصم عن الآخرة .

(وقال) رضي الله عنه إذا رأيت الفقير فابتدئه بالرفق ولا تبدئه بالعلم فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه .

(وقال) دخلت يوماً على السري فرأيت عليه همّاً فسألته فقال لي : الساعة استأذن عليّ شاب ودخل فسألني عن التوبة وشروطها فأنبأته ثم قال لي ماحقيقة التوبة ؟ قلت هو أن لا ينسى مامن أجله كانت التوبة . فقال ليس كذلك عندنا . فقلت فكيف هي عندكم ؟ قال أن لا تذكر ما من أجله التوبة . ففي هذا أنا مفكر . فقلت له ما أحسن ما قال ، ثم قلت : يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفا ونقلتني الى حال الصفا فذكرني للجفا في حال الصفا غفلة .

(وقال) دخلت على السري يوماً فقال لي : كنت أمشي في الجامع فقال لي شاب هل يعلم العبد أن الله عزَّ وجلَّ قد قبله ؟ فقلت لا ، فقال بلى إذا رأى أن الله تعالى عصمه من المعاصي ووثقه لطاعته علم أن الله قد قبله .

(وقال) دخلت على السري أعوده فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي
تاك فأخذت المروحة أروحه ، فقال يجد روح المروحة من قلبه وجوفه يحترق من داخل ثم أنشأ يقول :
القلب منحرق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن كان شيء فيه لي فرج فامنن علي به صادم بي رمق

(وحكي) أنه ورد عليه في وقت السمام وارد فغيبه فسقط طرف رداءه فوطئه ثم مدّ يده فرفعه فقبل له في ذلك فقال : " غبتُ ثم حضرت فاستحييتُ من الله عزّ وجلد أن أدعي الغيبة في حال الحضور " .

(وقال) الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني .

(قال أبو بكر الرازي) القبض والبسط حالتان فوق الخوف والرجاء . فإن القبض للعارف من ثمرات الخوف والبسط له من ثمرات الرجاء ، والخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبلي مكروه ومحبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي . ثم أنّ كلّ منهما قد يكون قد يكون كاملاً وقد يكون ناقصاً ، فالقبض الكامل وارد غيبي كأنه تقصير وسوء أدب فيستغرق العارف في ذلك حتى ينسد عليه أبواب التنفس . والقبض الناقص وارد غيبي ضعيف كأنه يخاطب العارف بما تتحمّله قوته . أما البسط التام فهو وارد غيبي قوي كأنه يخصّه بتشريف وإقبال ولطف وسرور ، فيجذبه بالكلية حتى يبقى مدهوشاً في بسطه كأنه قد حلّ عنه عقاب الموانع وأطلق في ميادين الإتصاف وكوشف في رياض الجمال والجلال لقوة الوارد . وأما البسط الناقص فهو وارد غيبي ضعيف يؤثر في العارف سروراً ونشاطاً وارتياحاً تأثيراً يبقى معه فيه بقية يتصرف بها في نفسه وغيره فلا يؤثر فيه البسط تأثيراً كلياً لنقصه ، بخلاف الأول فإنه يؤثر فيه تأثيراً كلياً لقوته وإستيلاء سلطات العناية الأزلية على قلبه . وبسط كلّ شخص على حسب قبضه وقبضه على حسب بسطه . وقد يحدث بسطاً لأيعرف سببه وعلاجه وقد يحدث قبضاً لأيعرف سببه وعلاجه التسليم حتى يذهب ذلك الوقت ، لأن تكلف دفعه يحل بالأدب ويزيد في ذلك القبض وبالتسليم يزول عن قريب ، قال تعالى (والله يقبض ويبسط) . وقد يحدث بسطاً بغتة لأيعرف سببه فيهمز صاحبه ويستقرّه ، وسبيل صاحبه السكون والمقاربة وحفظ الأدب . فإن حالة البسط لها خطر عظيم فليحذر صاحبها مكرراً خفياً يحجبه عن مقامه كما قال بعض العارفين " مُتَم عليّ باب من البسط فزللت زلةً فحجبت عن مقامي " . ولهذا قالوا قفّ على البساط وإياك والإنبساط . وقد استعاذ أهل التحقيق من حالتي القبض والبسط لأنهما بالنسبة إلى ما فوقهما من الأحوال فقر وضّر ، ألا ترى إلى قول الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني أه .

(وقال) رضي الله عنه كلّ مريد لا يعود نفسه صيام النهار وقيام الليل وخدمة الإخوان فكانه تمنى ما لا يصلح له .

(وقال) الجريري دخلتُ على الجنيد وهو مهتم فقلت : مالك ؟ فقال : فاتني شيء من أورادي . فقلت له : أعدّه . فقال : كيف وهي أوقات معدودة .

(وسئل) عن قوله تعالى (لايسألون الله إلحافاً) قال تمنعهم علومهم عن رفع حوائجهم إلا إلى مولاهم سبحانه وتعالى . وقال في قوله تعالى (وإن يمسسك بصرٌ ... الآية) قال إذا نزل بالبعد ضرراً ولجأ إليه في كشف ضرره قضيت حاجته وارتفع ضرره والله عزّ وجلّ معبوده فإن النظر في الإعطاء والمنع إلى غير الله شرك وهذا والله أعلم هو معنى النفي والإثبات المذكور في الآية الكريمة .

(وقال) الليل سراج العارفين ويقظة المرئدين وهلاك الغافلين . (وقال) ليس في إجتماع الإخوان أنس لوحشة الفراغ . (وقال رضي الله عنه) ما انتفعت في بدايتي كإنتفاعي بأبيات سمعتها وأنا مارٌّ في درب القراطيس من جارية وهي :

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل الضنا تقولين لولا الهجر لم يطلب الحبُّ
فإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى تقولني بنيران الهوى شرف القلب

إن قلتُ ما أذنبتُ قلتُ مُجيبَةً حياتك ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ
(قلت) والذي في حفلي بدل هذا البيت :
وإن قلت ما ذنبي تقولي مجيبة وجودك ذنب لا يُقاس به ذنبُ
وهو بطريقتة الأبيات أليق والله أعلم فصحتُ وصُعقتُ فلم أفق إلا وصاحب الدار قد خرج فقال : مماذا
ياسيدي ؟

قلت : مما سمعت من جاريتك .

فقال : أشهدك ياسيدي أنها هبةٌ مني إليك .

فقلت : قد قبلتها وهي حرة .

ثم زوجتها لبعض أصحابنا فولدت له ابناً نبيلاً نشأ وحجاً نحو ثلاثين حجة .

(وقال رضي الله عنه) اشتد البلاء برجل من العارفين حتى جر برجله الى المزبلة فرمعه طرفه الى السماء

وقال أنا بعينيك كما ترى فافعل ما شئت وحسبي ماتشأء ، ثم قال :

إذا المُستَهام شكى شجوه فقد زال عن سنت المُستَهام

فأين الكلوم التي في الحشا وأين تبرمه في الكلام

(ومرضاً) فوصف علته للطبيب فقبل له ليس هذا شكوى ؟ فقال لا وإنما هذا إخبار عن قدرة القادر جلّ

جلاله . (وسئل) عن الرجل يكون له عند السلطان جاه ويقصده الضعيف المظلوم في أمر قد يجري عليه

في الظلم . فقال لأحب أن أتكلم فيه بشيء ، وذلك إن أقواماً من السلف رضي الله عنهم كلهم كانوا يسارعون

الى مثل هذه الحالة وأخرون من السلف كانوا يتشاقلون عنها مخافة أن لا يسلموا . والذي عندي أن الرجل إذا

تصدهم يرى عندهم من المنكرات أعظم ما قصد له وربما لا يبلغ وسعه أن ينكر هذا فيقع فيه ما يقع وأنا

لأحب أن أتكلم في الجهات كلها ، لأن الرجل ربما رغب في الأجر وحملته نيته على السعي فيه فإن تكلمت

لأدري كيف أسلم منه . (وجاءت) امرأة ومعها زوجها اليه فوثقت بباب المسجد وسالت الوقوف بين يدي

الجنيّد لتسأله عن مسألة فلما علم بذلك خرم إليها ، فقالت : ياسيدي إن زوجي هذا يريد أن يتزوج عليّ .

فقال الجنيّد : إن لم يكن له أربع زوجات يجوز له أن يتزوج عليك . فقالت : ياسيدي لو كان يجوز النظر الى

الأجانب لكشفت لك عن وجهي لتنظر الى حسني وجمالي فتعلم أن من كان عنده مثلي لا ينبغي أن يتزوج

عليها .

فلما سمع الجنيّد هذا الكلام صاح وخر مغشياً عليه . فلما أفات سُئِلَ عن ذلك فقال : "نظرت كأن الجبار

جلّ جلاله يقول لو كان يجوز لأحد أن يراني في الدنيا بعين بصره لكشفت له عن حجابي حتى يراني ليعلم

أن من كان له رب مثلي لا ينبغي أن يحلّ في قلبه سواي" .

(وعن علي بن أبي منصور الدينوري) قال خرجت الى بغداد ومعني شيء من الدنيا أريد تفرقتة الى

أصحاب الجنيّد وسائر الفقهاء ، فوافينا بغداد ونزلنا في مكان وقصدت الجنيّد لأقضي من حقّه . فدخلت

عليه في منزله فسرّني وقرّبني بكلامه وحسن لقيه وكنيت أختلف إليه دائماً وأذكره . فلما كان ذات ليلة

رأيت في منامي كأنّ الخليفة قد جاء يدعوني الى ضيافته فانتبهت وحدثت صاحبي بما رأيت ، فقال

لننظر ما يكون من تاويل رؤياك هذه . فلما كان بعد الفجر إذا بالباب يُطرق ففتحت الباب فإذا الجنيّد

فقمنا اليه وفرحنا بقدمه . فسلم علينا وجلس ساعة يجادتنا ويذكرنا في العلم ثم دعانا الى دعوة في

منزله ، قال فتبسّمت الى صاحبي . فقال الجنيّد : ممّ تتبسّم ؟

فقلت له صورة المنام الذي رأيته واني جلست أنتظر ما يكون من تأويل رؤياي حتى دقَّ الشيخ الباب فلما دعوتنا الى منزلك تيسمت .

فقال الجنيد : اني رايت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلي بين يديه فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاذا برجلين قد جلسا بين يديه وادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحق ، فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي ياأبا القاسم احكم بينهما فسكت إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحتشاماً من أصحابه رضي الله عنهم . فأعاد القول ثانياً وثالثاً وأنا أسكت هيبه له وإعظاماً له وإجلالاً ، فقال في الرابعة احكم بينهما فقد وليتكم الحكم بين الخلق . فابتهمت وأنا مذعور فجئت اليكم أتسلى .

(وقال) جعفر الخدي دفع الي الجنيد درهماً وأمرني أن أشتري له التين الوزيري فاشتريته وجئت به اليه ووضعته بين يديه ، فوضع منه تينة في فمه على أن يفطر عليها ثم وقع عليه البكاء فأخرجها من فيه وأخذ الماء فغسل فمه ، فقلت : ما هذا ؟

فقال : كنت أشتهي منذ ثلاثين سنة فما أكلته فلما كان اليوم غلبتني نفسي بشهوتهما فلما وضعته في فمي إذا هاتف يهتف بي ويقول أما تستحي تركت أكلة لله تعالى ثم تعود اليها فأخرجتها من فمي ورأيت أن ترك العهد خيانة وأن الخؤون لا يكون محبوباً .

(وقال) له أبو عمرو الزجاج أريد الحمر فأعطاه درهماً صحيحاً فشده على منزره فما زال في سعة حتى رجم والدرهم معه . فمد الجنيد يده وتناول منه الدرهم .

(وقال) صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلاً الحارث المحاسبي وطبقته والسري السقطي وطبقته وحسن الموسوي وطبقته وابن الكرني وطبقته فما تواخى إثنان في الله عز وجل . (وجاء) رجل للجنيد فقال له : عرفني في هذا الزمان أأأ لله عز وجل . فأعرض الجنيد عنه حتى أعاد ذلك ثلاثاً . فلما أكثر قال له الجنيد : إن رأيت أأأ يكفيك مؤنتك ويتحمل أذك فهذا لعمرى قليل وإن أردت أأأ في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك . فسكت الرجل .

(وسأله) أبو محمد الجريدي عن رجل حل به أمر من الأمور فهو يكتم سره ولا يسأل ربه عز وجل كشفه وأخر إذا وقع له شيء من ذلك لجأ الى الله عز وجل بالدعاء والتضرع أيهما عندك أعلى ؟ قال الذي يكتم سره في نفسه ولا يبديه يعلم أن علام الغيوب والسرائر عالم بما هو فيه لا يخفى عليه خافية فيوافق بذلك عمله .

(وقال رضي الله عنه) مانمت على فراش منذ أربعين سنة .

(وقال) خير النساء رضي الله عنه كنت جالساً في بيتي فخطر لي أن أبا القاسم الجنيد في الباب أخرج اليه ، فنفيت ذلك عن قلبي وقلت وسوسة فوقم خاطر ثان كذلك فنفيت ذلك عن سري فوقم خاطر ثالث كذلك فقلت إنه خاطر حق وليس بوسوسة ففتحت الباب فاذا الجنيد قائم فسلم علي وقال ياخير لم لاخرجت مع خاطر الأول .

(وقال ابن علوان) خرجت يوماً الى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها ووقفت حتى يدفن الميت فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد ، فألمحت بالنظر اليها فاسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت الى منزلي فقالت لي عجوز مالي أرى وجهك قد اسود فأخذت المرأة فاذا

وجهي أسود فرجعت الى سري أنظر من أين دهيت . فقلت من النظرة فإنفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوماً . فخطر في قلبي أن أزور شيخي الجنيد فإنحدرت الى بغداد فلما جنت منزله طرقت الباب فقال لي : "أدخل يا عمر وتذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد" .

(وقال الجنيد رضي الله عنه) دخلت على السري يوماً فوجدت بين يديه رجلاً قد عُشيَ عليه . فقال لي : - هذا رجل سمع آية من كتاب الله فعُشيَ عليه . فقلت : إقرأ عليه تلك الآية . فقرأ فأفافت ، فقال : من أين هذا ؟ فقلت : إن نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كان ضعفُ بصره في قميص يوسف وكان رجوع بصره في قميص يوسف . فإستحسن السري مني ذلك . (وقال أيضاً) إنك لاتصل الى صريم الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقيّة . (وقال) الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان . (وقال) كنت واقفاً في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها وهناك جمع كثير ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النُسك يسأل الناس شيئاً . فقلت في نفسي لو عمل هذا عملاً يصون نفسه كان أجمل فلما إنصرفت الى منزلي وكان لي من أوراد الليل فلم أقدر على شيء منها فسهرت قاعداً أفكر في سبب ذلك . فغلبتني عيناى فنمتُ فرأيت ذلك الفقير كأنه على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فإنك قد إغْتَبْتَهُ ، فكُشِف لي عن الحال . فقلت إني ما إغْتَبْتَهُ وإنما قلت شيئاً في نفسي ، فقالوا هذه غيبة وأنا لانرضى منك بهذا إذهب فإستحلّ منه . فلما أصبحت قصدت ذلك الموضع مراراً حتى رأيتهُ يلتقط من جانب النهر أوراقاً من البقل الذي يسقط ، فسلمت عليه فردّ السلام وقال لي : ياأبا القاسم تعود ؟ فقلت : لأعود ، فقال : غفر الله لنا ولك . (وقال) كان السري يقول لي تكلم على الناس وكنت أجد في قلبي حشمة من الكلام على الناس لأنني كنت أتهم نفسي في إستحقاقي لذلك ، فرأيت ليلة جمعة في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي تكلم على الناس . فإنتبهت وأتيت السري قبل أن أصبح فدققتُ عليه الباب ، فقال " أنت لم تصدّقنا حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرَك بالكلام " . فلما كان النهار تعددت في الجامع وإنتشر الخبر في الناس أن الجنيد جلس يتكلم . فكان أول مجلسي أن وقف عليّ غلام نصراني متنكراً وقال : أيها الشيخ مامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ؟ فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت له : معناه أنك تُسلم فقد جاء وقت إسلامك . فأسلم الغلام .

(وقال الجريري) قدمت من مكة فبدأت بالجنيد لئلا يتعنّى اليّ فسلمت عليه ثم أتيت الى المنزل . فلما صليت الصبح إذا به خلفي في الصف فقلت له : إنما جئت لك لئلا تتعنّى . فقال : ياأبا محمد ذاك فضلك وهذا حقك .

(وكان يقول) التّصوّف هو صفاء المعاملة مع الله عزّ وجلّ وأصله العزوف عن الدنيا كما قال حارثة رضي الله عنه عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى . (وقال) رأيت إبليس في المنام عرياناً فقلت ياملعون أما تستحي من الناس ؟ فقال ياأبا القاسم هؤلاء الناس مابقي من يستحي منهم قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي . قال فلما إنتبهت جئت الى المسجد فإذا فيه جماعة منهم النوري والدقاق والحيري وقد وضعوا رؤوسهم على رُكبيهم ، فلما رأوني قد أقبلتُ رفعوا اليّ رؤوسهم وقالوا ياأبا القاسم لايفرنك حديث الخبيث . (وكان يقول) إذا رأيت الصوفي يعبا بظاهره فاعلم أن باطنه خراب .

(من دعائه) اللهم يامَنَ هو كلَّ يوم في شأن إجعلني من بعض شأنك يا أرحم الراحمين . (ومنه أيضاً) اللهم اني أسألك أن تعطيني عملاً يكون لك خالصاً وأعوذ بك من كل أمر يسخطك . اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكراً لا يريد بذكرك إلا ابتغاء مرضاتك وما هو لك . اللهم اجعلني ممن يعطي لك ويمنم لك وبك يستعين واليك يلجأ والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً دائماً لا انقطاع له ولا زوال كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك . اللهم واجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما سها الغافلون وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى يوم الدين وصل على جبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان الله وعزرائيل وسلم . اللهم وصل المكروبيين والروحانيين وسائر الملائكة والمقربين والحفظة والسفرة وجميع الملائكة والمؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين ، صلاةً ترضاهم وتزكيهم وتحبهم وكما هم أهل لذلك . اللهم لاتجعل مظلماً في تبعاتنا يوماً فضلاً وكرماً يا أرحم الراحمين . اللهم وبارك لنا في الموت وما بعد الموت إذا نزل بنا إجله يوم حب وكرامة وزُلفى وسرور وإغتباط وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرّة أعين واجعلها رياضاً من رياض جنّتك ولقناً فيها الحجج وأمناً فيها من الروعات أمنين مطمئنين الى يوم تبعثنا . يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أمناً من روعات ذلك اليوم وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا في ظمئه واحشُرنا في زمرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الشافع المشفق لأوليائك المقدم على جميع أصفياك . ونسألك أن لاتحاسبنا فإن حاسبتنا فحاسبنا حساباً يسيراً بلا مناقشة . وعاملنا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين واجعلنا من المغبوطين واعطنا كتابنا بالإيمان وأجزنا السراط مع السرعان ، وثقل موازيننا ولا تُسمعنا لنار جهنم حسيساً ولا زفيراً وأجرنا منها ومن كل ما قرب منها ومن كل ما قَرَّبَ إليها من عمل ونية . واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وأقاربنا في دار قدسك على أفضل حال وأسرها . وضمّ إلينا إخواننا الذين هم على ألفتنا من كل ذكر وأنثى وبلغهم ما أمّلوهم واجمع بيننا وبينهم على أفضل حال وأسرها . وعم المؤمنين والمؤمنات جميعاً برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك كُن لنا ولهم ولياً وكالناً يا أرحم الراحمين تقبّل من محسنهم وتبّ على مسيئهم واغفر لهم وتقبّل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصر مظلومهم واشف مريضهم وتبّ علينا وعليهم توبةً نصوحاً ترضاهم فإنك الجواد الكريم على كل شيء قدير . وكن للمجاهدين ولياً وكالناً وكافياً وناصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً . واجعل اللهم دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا واسفك اللهم دماءهم واجعلهم فينا إخواننا المؤمنين . واصلح اللهم الراعي والرعية وكل من وليته عليهم وهب لهم العطف والرافة والرحمة لهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم . اللهم اجعل لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة واعذنا من البلاء كله . وتولّ ذلك بفضلك من حيث أعلم به ولا تُترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ولا ترنا بينهم خلافاً ، واجعلنا على طاعتك وعلى ما يقرب اليك فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة . اللهم إننا نسألك أن تُعزنا ولا تُخذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكون علينا وتجمع لنا سبيل الخيرات كلها أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا الى

طاعتك ، ومعونة لنا على موافقتك وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا واليها مُنْقَلِبنا ولا تجعل معولنا إلا عليك فإن ذلك لا يتم لك ولا يصح لنا إلا بتوفيقك . اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبت لخاصتك من صفوة خلقك من حقيقة العلم والمعرفة بك ومُنْ علينا بما مَنَنْت به عليهم من الأثك وكراماتك واجعل ذلك دائماً لنا يامن له ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير . اللهم وهب لنا العافية الكاملة في جميع الأحوال وفي جميع الإخوان والذريات والقربيات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات ، اجر علينا من أحكام أرضها وأحبها وأعونها على كل مقرب من قول وعمل ونية ياسامع الأصوات يعالم الخفيات ويأجابر الأرض والسموات صل على محمد سيد المرسلين وعلى آل محمد أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً وسلم تسليماً كثيراً . وأجبن اللهم كما وعدتنا وقد دعوناك كما أمرتنا وافعل بنا ما أنت أهل يأكرم الأكرمين وبأرحم الراحمين ويارب العالمين .

(قال الحافظ أبو نعيم في "الحلية") كان الجنيد قدس الله سرهما يدعو بهذا الدعاء على ممر الأيام . (ومنه) :
ياذاكر الذكرين بما به ذكروه وياباديء العارفين بما به عرفوه وياموفقت العابدين بصالح ما تحملوه من ذا الذي يشغم عنده إلا بإذنه من ذا الذي يذكره إلا بفضلهم .
(وقيل) له عند النزاع قل لا إله إلا الله قال مانسيته فأذكره .

(وقال أبو محمد الجريدي) كنت واقفاً عند رأس الجنيد عند وفاته وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت له : ياأبا القاسم إرفق بنفسك . فقال : ياأبا محمد ماكنت أحوج إليه مني في هذا الوقت وقد قرب أن تطوى صحيفتي .

(وفي رواية أخرى حضرت عنده قبل وفاته بساعتين فلم يزل تالياً وراكعاً وساجداً حتى فارقت الدنيا) .
(توفي ببغداد) يوم السبت ثمان وتسعين ومائتين وصلّى عليه ولده وحرز الذين صلوا عليه فكانوا قريباً من ستين ألفاً . (وراه) جعفر بن محمد في النوم فقال له ما فعل الله بك ؟ قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت الرسوم ومانفَعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسفار .
(قال) الإمام الرازي فكل أحد يظن أن ما معه من العلوم والأعمال وسيلة الى وجدان ملك الجنة والوصول الى عتبة حضرة الحق تعالى ، فاذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهام وزالت تلك الأفكار وبقي المسكين على تراب الحرمان وموضع الذلّة والعجز ، انتهى .

(ورؤي) رضي الله عنه أيضاً في المنام فتيك له ما فعل الله عز وجل بك ؟ فقال عاتبني على كل كلمة سبقت مني وذلك أن سنة من السنين اجتبس عنا فيها المطر فقلت مع الناس ماأحوج الناس الى المطر ، فقال الحق جل جلاله أتنبئني بأرضي وتقول محتاجة الى المطر وأنا العليم الخبير وما ننزله إلا بقدر معلوم .
(وقال الجريدي) كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة فلما رجعنا من جنازة الجنيد تقدم ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال "ياأبا محمد تراني أرجع الى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد العارف؟"
ثم أنشأ يقول :

وا أسفي من فراق قوم	هم المصابيح والعيون
والمدن المزن والرواسي	والخير الأمر والسكون
لم تتغير لنا الليالي	حتى توقت هم المنون
فكل جمر لنا قلوب	وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا فكان هذا آخر العهد به . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجلة سيدنا الشيخ أبو علي الرودباري رضي الله عنهما .

سيدنا الشيخ أبو علي أحمد الرودباري رضي الله عنه

العارف كلّ العارف ، كان من أئمة الصوفية وعلما الشافعية . ساد أهل ذلك المذهب في زمنه حتى أصبح أمثلهم طوع مرامه وقوساً في يده يرمي بها الى غرضه بسهامه . وهو بغدادي الأصل من أبناء الرؤساء والوزراء ونسبه متصل بكسرى . (وكان) عالماً محدثاً صوفياً صحب في التصوف الجنيّد والفقّه ابن شريم والحديث إبراهيم الحربي والنحو جماعة منهم ثعلب وكان يفتخر بذلك . أقام بمصر وصار فقيهما ومحدثها وصوفيها يُقصد للأخذ عنه من جميع الأفاق . أتاه جمعٌ من الفقهاء فاعتلّ منهم واحد فأمر أصحابه بخدمته فملؤا فحلف أن لا يخدمه غيره فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه ، فلما أراد فتح رأس كفته ليضجعه مستويّاً فتح عينيه وقال "ياأبا علي لأنصرتك بجاهي الى يوم القيامة كما نصرتني بمخالفة نفسك" .
(وقال) دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فسألتهم عن ذلك ، فقالوا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت همّة عين طمعت في أن تراكا

فشهق فمات . (وقال) إتخذ رجل ضيافة فأوقد فيها ألف سراج ، فقال له رجل أسرفت قال أدخل فكلمنا أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فإنقطع . (ومراً) يوماً على الفرات فعرضت لنفسه شهوة السمك فحذف الماء سمكةً نحوه وإذا برجل يعدو ويقول أشويها لك فشواها له وأكلها . (ومن فوائده) الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار اليه وفي الحقيقة الإشارة تصحيحها العلك والعلك بعيدة عن الوقائم . (وقال) لم تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد فلم يبق محب إلا مات حالاً . (وقال) والاهم قبل أفعالهم وعاداهم قبل أفعالهم ثم جازاهم بأفعالهم . (وقال) المرید ما لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله والمرید لا يريد من الكونين شيئاً غيره . (وقال) المشتاقون الى الله يجدون حلوة الوقت حين وروده لما كشف لهم من روح الوصول الى قربه أحلى من الشهد . (وقال) إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب . (وقال) دخلت الأفة في القوم من ثلاثة : سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة . (وقال) إكتساب الدنيا مذلة وإكتساب الآخرة عز فواعجباً لمن يختار الذل على العز . (وقال) سبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء . (وقال) لما تشوّقت القلوب الى مشاهدة ذات الحق ألقى اليه الأسماء فسكنت وركنت إليها والذات مستترة الى التجلي الأخرى . (وقال) المشاهدة للقلوب والمكاشفة للأسرار والمعاني للبصائر والمرئيات للأبصار . (وقال) من نظر الى كمال نفسه مرّة عمي قلبه عن النظر الى شيء من الأكوان على وجه الإعتبار . (وقال) ما دعى أحد دعوى إلا لخلوه عن الحقائق إذ لو تحققت بشيء نطقت عنه الحقيقة أغنته عن دعاوى . (وقال) من علامة مّقت الله للعبد أن يضجر من طول مجالس الذكر فإنه لو أحب الله تعالى كانت مجالسته ألف سنة كلمحة . (وقال) لا ينبغي أن يتصدى لتربية الأحداث إلا الكمل الذين استولت عليهم هبة الله تعالى لعظم سياستهم ، لأن الشباب شعبة من الجن وقد كان أحدهم يربي الحدث حتى تطلم لحيته لا يعلم بذلك إلا من الناس .

(وسئل) عمّت يسمم الملاهي ويقول هي لي حلال لأنني وصلت الى درجة لا يؤثر فيّ الاختلاف ، فقال نعم قد وصل ولكن الى سقر . (قال السبكي) وقد يتوصل بهذا الى زعم أنه كان لا يرى السماء والذي يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهاره الوصول الى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لا يتظاهر بذلك إلا بأدب وليس مراده تحريم السماء ولا إنكار أن بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ومن كلامه أيضاً السماء مكاشفة الأسرار الى مشاهدة المحبوب .

(وقال) أعظم اليقين ماعظم الحق في عينيك وصغر ما دونه عندك وأثبت الرجاء والخوف في قلبك . (وقال) من الإغترار أن تسيء فيحسن اليك فتترك الإنابة توهماً أنك تسامح من الهفوات وترى أن ذلك من أبسط الحق . (وقال) الصول على من دونك عنف وعلى من فوقك حجة . (وسئل) عن التصوف فقال هو صفوة القرب بعد كدورة البعد . (وكان) يقول أدركنا الناس وكانوا يجتمعون لا عن مواعدة ويفترقون لا عن مشورة . (وقال) أظمر الحقّ الأسامي وأبداها للخلق ليسكن لها قلوب المحبين ويؤنس بها قلوب العارفين . (وقال) كيف تشهده الأشياء وبه فنيت ذواتها عن ذواتها . أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت صفاتها . فسبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى . (وقال) التفكر على أربعة أوجه : فكرة في آيات الله وعلامتها تولد المحبة ، وفكرة في وعده بالثواب وعلامتها تولد الرغبة ، وفكرة في وعيده بالعذاب وعلامتها تولد الحياء من الله . ومن نظم :

روحي اليك بكلها قد أجمعت	لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي اليك بكلها عن كلها	حتى يقال من البكاء تقطعت
فأنظر إليها نظرة فلطالما	متعتها من نعمته فتمتعت

وقال :

إن الحقيقة غير ما يتوهم	فانظر لنفسك أي حال تغرم
أتكن في القوم الذين تأخروا	عن حقهم أو في الذين تقدّموا
لاتخدمن فتلوم نفسك حين لا	يُجدي اليك أسف ولا ندم

وقال :

ولو مضى الكلّ مني لم يكن عجب	وإنما عجبي للبعض كيف بقي
أدرك بقية روم فيك قد تلفت	قبل الفراق فهذا آخر الرمق

وكان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث واجتمعوا بمحلّ فوجّهوا واحداً من أحداثهم لحاجة فأبسطاً فغضبوا ، ثم أقبل وهو يضحك ويبيده بطيخة يقبلها ويشمها . فقالوا ما شأنك ؟ قال : جئت بفائدة ورأيت بشراً الحافي وضع يده على هذه البطيخة ، فلم أزل واقفاً حتى اشتريتها بعشرين درهماً أتبرك بموضع يده . فأخذ كلّ منهم البطيخة فقبلها ووضعها على عينيه ، فقال أحدهم : ما بلغ ببيش هذا ؟ قالوا التقوى والعمل الصالح . قال : اني تبت وأنا على طريقة بشر . وقال كلّ منهم مثله وخرجوا فغزوا طرسوس فاستشهدوا فقال فيهم أبو علي الرودياري صاحب الترجمة :

فلاذوا به من بعد كسل نهاية	لياذ مقرب الخضوع مم الجد
العجز والتقصير عن الواجب الذي	به عرفوه للورد مم السورد
فكان لهم بالفزو في غاية المنى	شكوراً لما أولاه من رتب الحمد

(وكان) يُطعم الفقراء الحلواء واتخذ مرةً حملاً من السكر الأبيض ودعا جماعة من الحلوانيين حتى عملوا

من ذلك السكر جداراً عليه شرافات ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر ثم دعا الصوفية فهدموها وكسروها وانتهبوها وهو يبتسم . (وكان) أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة .
(توفي) سنة عشرين أو إثنين وعشرين وثلاثمائة ودُفِنَ بالقرافة بقرب ضريح سيدنا ذي النون المصري والروديباري (بضم الراء المهملة وسكون الواو وداك مهملة وموحدة مفتوحة) وهو نسبة الى (رودبار) في " البيان النافع شرح البرهان القاطم " رودبار بلدة بين جيلان وقزوين سميت باسم نهر هنالك اسمه رودبار بالفارسية عظيم . فهو مركب مما ذكر فما تراه في أكثر الكتب من إيرادها تارةً روزباري وأونة رودبازي أو غير ذلك فهو تصحيف . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة سيدنا أبو علي الكاتب رضي الله عنه .